نبي الله أيوب عليه السلام

طريق الشفاء

(وأنت أرحم الراحمين)

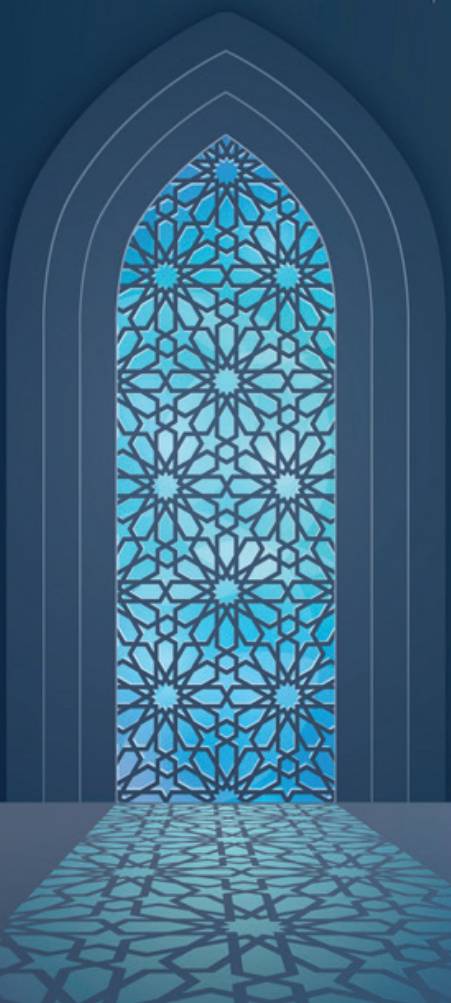

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

دار الأصالة

دار الأصالة

دار الأصالة

رقم الإصدار الترقيم الدولي	268 978-625-6250-48-2
اسم الكتاب اسم المؤلف	نبي الله أيوب عليه السلام د. علي محمَّد محمَّد الصلَّابي
رئيس التحرير	رجب صونگول
الاخراج الفني	AsaletAjans ajans@asaletyayinlari.com.tr
الطبعة	الأولى - ديسمبر 2024 م / جمادى الآخرة 1446 هـ
	İmak Ofset Basım Yay. Tic. ve San. Ltd. Şti. Sertifika No: 71320 Akçaburgaz Mah. 137. Sk. No: 12 Esenyurt/İSTANBUL
دار النشر	دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة Asalet Eğitim Danışmanlık Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret Sertifika No: 40687 Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd. Yümni İş Merkezi No: 16B/16 Vezneciler Fatih/ İSTANBUL-TÜRKİYE Tel: +90 212 511 85 47 www.asaletyayinlari.com.tr asalet@asaletyayinlari.com.tr

كما أن إصداراتنا متاحة على منصّتي

Google Play Books

amazon kindle

Copyright ©2024

دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة – إسطنبول – © تركيا 2024

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

نبي الله أيوب عليه السلام

طريق الشفاء

(وَأَنتَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ)

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

دار الأصالة

الإهداء

إلى الراغبين والمتعطّشين لمعرفة سِيَر وقصص الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إلى السائرين في مدارج السالكين لتحقيق توحيد الله وإفراده بالعبادة، وملازمة الصبر على الطاعات، وعن المعاصي وفي النكبات.

إلى المتعطّشين إلى الأوْبة لخالقهم العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أُهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

تقديم

الأستاذ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، والصلاة والسلام على النبي الأواب، والرسول المهاب سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته الكرام الأنجاب، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر والمآب.

أما بعد؛ فإنني على وجلٍ أن أكون متجرئًا في تقديمي لهذا الكتاب المبارك، وذلك لعلاقتي القديمة بمؤلفات فضيلة المحقق البارع مجدد علم التاريخ ومآثره، ومظهر كنوزه وجواهره: الشيخ الأستاذ الدكتور/ علي الصلابي، وترجع علاقتي بفضيلته إلى نحو ثلاثين عامًا؛ إذ التقيت به قَدَرًا في فندق في شارع تعز في مدينة صنعاء، يرافقه أحد الفضلاء العاملين في مشروع الشفيع القرآني الرائد، وأخبرته عن شوقي للقاء به، فأخبرني عن انشغاله، ثم ما لبث حتى اتصل بي، وتكلم معي معاتبًا نفسه حين لم يرحب بي لتحديد موعد مع طالب علمٍ محبٍّ، ثم ما لبثت حتى ازدانت لقاءات المحبة العلمية، وصار يصح أن يقال في فضيلة الدكتور:

أودك ودًّا ليس فيه غضاضةٌ وبعضُ مودات الرجال سرابُ
وأمْحَضُكَ النُّصحَ الصريحَ وفي الحشا لودّك نقشٌ ظاهرٌ وكتابُ

وفي البيت المبارك الذي كان يسكنه فضيلة العَلَم المحقق الدكتور/ علي لربما رأيتني أهيم في مكتبته العامرة في صنعاء، وكان لا يبرح أن يسائلني عن همومي

العلمية، ولما كلمته عن همٍّ مؤرقٍ لي في كتابة شيء في فقه الاختلاف منطلقًا من قاعدة الفقهاء "لا إنكار في مسائل الخلاف" انطلق يحبوني بمراجع مدهشة تعينني على تجويد البحث، وتحقيقه وإحسانه، ثم يثير عندي في المجالسة حس المدارسة العميقة عبر المؤانسة الرقيقة، فأنطلق لأدارسه شأني في ذلك يعبر عنه قول القائل:

شأني أن أدارسَ كلَّ شهمٍ طويل الباع من باعي القصيرِ

وما برحت أراجعه في أوجاع واقع أمتنا، ومقدمات الفشل التي تجلبها لنفسها التيارات العاملة للإسلام، وهو يعالج ذلك وفق فهمه السنني للواقع الخاص والعالمي، ومنَّ الله عليَّ، فأطلعني مجدد علم التاريخ، ومثير علم سنن البناء والعاقبة على كتابين له تحت الطبع تباعًا: عثمان بن عفان الخليفة القرآني المدهش في عبقريته الإدارية المظلوم من القريب والبعيد، وعلي بن أبي طالب ذي المآثر والمناقب، وطلب مني مراجعة كل كتابٍ في حينها قبل أن يدفع بهما إلى الطباعة، فرأيت ما أذهلني من الصبر والجَلَد والتحقيق والتدقيق وسعة الاطلاع ووفرة المراجع وإظهار الحقائق التاريخية الغائبة حتى عن كثيرٍ من مدعي علم التاريخ، أو طالبي التغيير في الواقع العالمي، وأتعجب من تقصيه لدقائق حياة هؤلاء، وصبره في إعادة كتابة التاريخ وفق الحقائق التي وقعت لا وفق الأوهام التي اصطنعها الخياليون ومزوّرو التاريخ.

إنها لصفة عجيبة يتصف فضيلة المحقق المجدد هي طول النَّفَس في الجمع والتنقيح والتحقيق شأنه في ذلك كما قيل:

يقولونَ: كمْ تشقى بدرسٍ تُديمُهُ وتُمْعنُ فيه دائبًا كلَّ إمعانِ

فقلتُ: ذرونـي إنمـا أنـا كادحٌ لأكمـلَ ذاتـي أو لأجبـرَ نقصانـي
إذا لـمْ يكـنْ نقصـانُ عمـري زيـادةً لعلمـي فإنـي والبهيمـةُ سـيانِ

ومجدد علم التاريخ لا تخبو أنواره المتقدة التي تقرب الإنسانية إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ، وتريها بصائر كتابه وآياته، وإذ وجدتَني قد فرغت من قراءة كتابه العميق الماتع النافع "لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين"؛ إذ به يتحفني ويتحف العالَم بسفره الرائع الجديد (نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ) وبأسلوبه الفريد البديع يزين عنوان الكتاب بكوكب دري قرآني، فيضع فيه: (طريق الشفاء ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]) ليبقى هذا الكوكب الدري شجرة مغروسة في القلب المتدبر المتذكر، أصلها ثابتٌ وفرعها يحوم حول العرش. وقد قدمه فضيلة الدكتور للقراء بطلّة مهيبة ليكون درة في عقد يعكف منذ زمن على إكمال انتظامه، ويجهد في الوصول به إلى أوج تمامه، فقد أخرج مجدد علم التاريخ للقراء سلسلة قادة الإنسانية العظام الذين حملوا مشعل الهدى والنور للإنسانية منذ بدء التاريخ ليكونوا الأنوار مهما تطاول المجرمون والفجار، وليحققوا قول الحكيم القهار: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠].

هنا أرى تقاطعًا كبيرًا بين مشروعه الـذي بـدأه منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ومشروعي "بصائر المعرفة القرآنية"؛ إذ من أهم ما يعالجه "مشروع البصائر" الرؤية السننية في تفسير الأحداث والتحولات في تاريخ البشرية والوقائع المعاصرة من منظور قرآني، مع تقديم خطط النجاح وسنن تجاوز مراحل الانكسار التي تمرّ بها أمتنا برؤية قرآنية صميمة، وأظنني محقًا لو لقبتُ فضيلةَ المحقق الدكتور/ علي

مجدِّدَ علم التاريخ، ومؤسس علم التاريخ القرآني، فهو يجعل النص القرآني أساس تفاصيل علم التاريخ، وهو في ذلك يسير على منهجية البصائر القرآنية في كتابة التاريخ، فلا يكتفي بالسرد القصصي، بل يجعل منه أساسًا لبناء الأمم، وتشييد القِيَم، وإنهاض الأمم، وإنارة الظُّلَم، وجعل النصوص التاريخية القرآنية منطلقًا للتذكير بالحق الموجود، والاجتهاد في تحقيق الحق المقصود كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْحَقَّ نَوْعَانِ: حَقٌّ مَوْجُودٌ، وَبِهِ يَتَعَلَّقُ الْخَبَرُ الصَّادِقُ، وَحَقٌّ مَقْصُودٌ: وَبِهِ يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ الْحَكِيمُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ"(١).

ومضى مؤسس علم التاريخ القرآني يقعِّدُ للحقِّ الموجود والحقِّ المقصود في التاريخ عبر المسيرة الرسالية الممتدة من أنبياء الله الصالحين ورسله الأكرمين إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إلى تواريخ الخلفاء والأمم والملوك من بعد، وبات ما كتبه من الأسفار العظيمة قبلة الباحثين عن الدراسات التاريخية المحققة، وقد نفع الله جَلَّ جَلَالُهُ بما كتب ونشر نفعًا عظيمًا، وتُرجمت كتاباته إلى لغات العالم، وأُلقِيَ لما يُصدِره من هذه السلسلة المباركة القبول التام، فسارت بها الركبان، وتلقاها القاصي والداني تلقي الظامئ العطشان، وأرجو أن هذه عاجل بشرى الله لعبده بمحبته؛ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ إذا أحب عبدًا نادى في السماء أنه يحبه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في قلوب أهل الأرض.

لقد شهد العصر المتأخر محاولات عدة للتجني على تاريخنا المجيد، وحملات متوالية للنيل من إرثنا التليد إما بتزييف وقائعه وأحداثه، أو بتفسيره تفسيرًا لا ينسجم مع القيم الرسالية والمبادئ الحقة التي تأسس وانبثق عنها، والظروف الموضوعية التي جرت في سياقها أحداثه ووقائعه، والحملات من كلا النوعين

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٠٢).

إنما تهدف لتقديم صورة قاتمة، وتشكيل نظرة سوداوية لدى القارئ المعاصر عن هذا التاريخ الذي حق لنا ولكل الأجيال المسلمة أن تفاخر به في كل محفل ومجمع. ولأن الأمر كما أشرت، فإن الحاجة للجهود العلمية المحققة للتاريخ تتعاظم تفنيدًا للزيف، ورفعًا للحيف، وقد بارك الله في الشيخ العَلَم المحقق د/ علي الصلابي ليجدد علم التاريخ الإسلامي والبشري العام، وليؤسس علم التاريخ القرآني، فأتى بالكثير المبارك مما يسد الثغرة، ويجبر الكسرة، فأثلج الله جَلَّ جَلَالُهُ به صدور المحبين، وكبت به نفوس الشانئين والمتطاولين على تاريخنا المجيد، وأغاظ به كل جبار عنيد.

وإنك لتتابع الجهود التي قام بها مجدد علم التاريخ، ومؤسس علم التاريخ القرآني في معالجة قضايا التاريخ الإسلامي وإبراز كنوزه، فتراها جهودًا تنوء بحملها الرواسي، ولا تنهض بها إلا مؤسسات علمية، أو مراكز بحثية بطواقم متخصصة متفرغة لكن الله جَلَّ جَلَالُهُ بارك في وقته وجهده، وأعانه على إخراج هذه الأسفار العظيمة، والجواهر الكريمة، وإني لأحسب أن إخلاص النية، والمعونة الربانية خير عماد ومطية لتحقيق مثل هذه الإنجازات المباركة الثرية.

مزايا خاصة:

وتمضي بشغف لتقرأ تفاصيل القصص القرآني ولا يفارقك فيها المزايا العظيمة الخاصة التي تشرق بها كتابات مجدد علم التاريخ، ومنها:

أولًا: التحليل العميق لأوضاع التاريخ وفق الرؤية القرآنية:

فالتاريخ الإسلامي وفق الرؤية القرآنية ممتد عبر حقب من التاريخ متطاولة، قديم قدم كلمة الله ودينه الذي ارتضاه للخليقة ألا وهو دين الإسلام، فهو الدين الذي شرعه لجميع رسله كما تنطق بذلك آياته البينات في غير موضع من كتابه

من مثل قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثانيًا: إظهار الأسماء الحسنى في تدبير الكون وإدالة الأيام وتدوير التاريخ:

فمن أهم المعالجات القرآنية الضخمة التي ينطلق منها مجدد علم التاريخ ومؤسس علم التاريخ القرآني تفسير الأحداث التاريخية وفق إظهار الصفات الإلهية، والأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، وهذا يذكرنا بأن الإمام الذّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاول أن يعالج التاريخ بالبصائر القرآنية لكن فعله كان عَرَضًا لا هدفًا ولا غَرَضًا فيما يظهر، فقد نقل أنّ صالح بن مرداس ملك حلب حاصر مدينة المعرّة الشامية ورماها بالمجانيق، فخرج إليه أبو العلاء يتشفّع فأكرمه، وقال: ألك حاجة؟

فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فقال: قد وهبتك المعرّة)، فقال بَعْدُ:

نجّى المعاشرَ من براثنِ صالحٍ ربٌّ يداوي كلّ داءٍ معضلِ
ما كان لي فيها جناحُ بعوضةٍ والله ألبسهم جناحَ تفضّلِ

ثالثًا: تفسير التاريخ وفق مبدأ الاستخلاف في الأرض، وليس وفق العبث التاريخي الدارويني أو الفرويدي أو مبدأ الوسخ الكيميائي الذي قرره ستيفن هوكنج:

فتجد في الكتابات المباركة لفضيلة الشيخ الدكتور مؤسس علم التاريخ القرآني، بناء للعقل والجسد والروح في وقتٍ واحد، وإذا كان الرازي يقرر أن من أهم مقاصد القرآن الكريم "مَعْرِفَة الْحَقِّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِنَّمَا حَصَلَ الِامْتِيَازُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَهْدِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرِ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ: فَلَمَّا أَعْرَضَ الْكُفَّارُ عَنِ اعْتِبَارِ أَحْوَالِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِالْخَيْرِ كَانُوا كَالْأَنْعَامِ... وَقَالَ حَكِيمُ الشُّعَرَاءِ:

الرُّوحُ عِنْدَ إِلَهِ الْعَرْشِ مَبْدَؤُهُ وَتُرْبَةُ الْأَرْضِ أَصْلُ الْجِسْمِ وَالْبَدَنِ

قَدْ أَلَّفَ الْمَلِكُ الْحَنَّانُ بَيْنَهُمَا لِيَصْلُحَا لِقَبُولِ الْأَمْرِ وَالْمِحَنِ

فَالرُّوحُ فِي غُرْبَةٍ وَالْجِسْمُ فِي وَطَنٍ فَاعْرِفْ ذِمَامَ الْغَرِيبِ النَّازِحِ الْوَطَنِ"[1]

رابعًا: الربط الواقعي، وتفسير الأحداث وماجريات الواقع وفق المنهج السنني المستلهم من نصوص الوحي ووقائع التاريخ؛ إذ (التاريخ يعيد نفسه)..

خامسًا: يسر العبارة وقربها من القارئ المعاصر، وما أشد حاجة أبناء العصر لتقريب الحقائق البانية والبصائر الهادية إليهم في ظل هذا السيل الجارف من المعارف وغلبة التفاهة في وسائل التلقي والاتصال المعاصرة.

(١) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤١١).

سادسًا: إبراز الأقوال السديدة والآراء الحميدة التي جادت قرائح المفسرين والمؤرخين في استلهام بصائر النص القرآني المبين.

سابعًا: اقتناص النور النبوي إن تعلقت به فكرة من الأفكار التي ترتبط بالقصة القرآنية، وللنور النبوي تأثيره الهائل الذي يعمل في نفس القارئ عندما يرتبط بالنص القرآني، والرؤية القرآنية، وتحليل الحدث التاريخي.

ثامنًا: إيراد الاقتباسات المتعلقة؛ بالقصة إما من كلام علمائنا للتأييد والتسديد، أو من إيرادات أصحاب الشبهات للتفنيد والتبديد، فقد أخذ كثيرٌ من الطاعنين مجاله في خداع القارئين والسامعين:

وإن من واجب الأجيال اللاحقة أن تستلهم دروس تاريخ الرسالات السماوية الضاربة في عمق التاريخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من واجبها أن تنفي عن هذا التاريخ المبارك الدَّخَل، وتنقد ما ألحقه به المبطلون من الزيف والدَّجَل ليُعرض للأجيال صفحاتٍ مشرقةً، وليقدم رجالاته الأبرار الأخيار نجومًا متألقة يكونون للأجيال أسوة، وللمتعلمين قدوة.

كتاب (نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ):

في هجير رمضاء النكبات المتعاقبة على أمتنا عامة، والابتلاءات المتوالية على البررة من رواد خير أمة أخرجت للناس تشتد الحاجة إلى ما يخفف الوطأة، ويسلي الفؤاد، ويطيب الخاطر، ويذكر بالموعد الظافر، وهنا يأتي كتاب (نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ) ليفي بهذا الغرض، ويحقق هذا المقصد، ويعالج هذه الغاية.

قصة أيوب تقف مقابل قصة سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الأولى قصة الابتلاء بالضراء، والثانية قصة الابتلاء بالسراء، وقصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ جواب عن سؤال ضخم هائل

يلعب به الشيطان على أطفاله من الملحدين، وعلى بعض شبابنا الذين يستمعون كل شيء في عصر وسائل التواصل: لماذا يقدر الله جَلَّ جَلَالُهُ على الإنسان نزول المصائب الموجعة؟ لماذا يقدر الله جَلَّ جَلَالُهُ على عبده البريء هذه الآلام ويسلبه لذة الحياة؟ لماذا يُخلَق بعض الناس مشوهين، ويعيشون حياتهم متألمين؟ ويناقش شيخ التاريخ التحليلي في قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل هذه الأفكار الشيطانية، والهرطقات الإبليسية بأسلوب رائع منطلقًا من الرؤية القرآنية ومن "بصائر المعرفة القرآنية".

وبالنظر إلى هذا الملمح أجد وجهة الدكتور/ الصلابي هذه تتعاضد مرة أخرى مع (مشروع البصائر المعرفة القرآنية)؛ إذ مما يقصد إليه مشروع البصائر توفير الأجوبة التفصيلية العملية التي تبين الآيات البينات وحججها وقوة دلالاتها، بما يُجلِّي الحق الذي يدمغ الباطل في مواجهة الطاعنين والشانئين من المستشرقين والمستغربين.

وإن من محاسن هذه الدراسة وفرادتها بين الدراسات المتعددة التي كتبت عن سيرة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الاعتماد على وحي الله المعصوم (القرآن الكريم)، واستنطاق نصوصه واستلهامها بما يجلي الحقائق في سيرة هذا النبي الكريم -عليه سلام الله- وتجد هذا ظاهرًا في المبحثين: الثاني والثالث، فقد عالج المؤرخ العلامة الدكتور الصلابي سيرة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في المبحث الثاني من خلال سورة الأنبياء وسياقها القصصي الشائق الرائق ومقاصدية تناولها لخبر أيوب وغيره من رسل الله الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي المبحث الثالث عرض لطرفٍ من قصته كذلك من خلال سورة (ص)، وأجد الفرصة مواتية هنا لأشد من أزر فضيلة العلامة/ الصلابي لتأكيد

ضرورة العودة بالأجيال لتطلب المعرفة الحقيقية تاريخية كانت أو غيرها من نصوص هذا الكتاب العظيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وإن من نوابت الزيغ والانحراف وأسس الميل عن جادة الصراط أن ينصرف فئامٌ من المتخصصين إلى دراسة المراحل التاريخية المتعاقبة للبشرية ومسيرتها الرسالية دون أن يرفعوا بمنصوص هذا الكتاب رأسًا، أو نسمع لهم عن ما حواه من الحقائق وثابت المعارف حسًّا، وما ذاك -فيما نحسبه- إلا الخذلان وتنكب الجادة إلى بنيات الطريق، واستبدال الذي هو أدني بالذي هو خير.

ومن لطائف التوافق عفوًا -لا الاتفاق مسبقًا- أن ما قرره مؤسس علم التاريخ القرآني عن نشأة الحضارة البشرية الأولى والتحولات الكبرى في مسيرتها يتفق مع ما قررته في تفسيري لسورة الأعراف من تقسيم أدوار التاريخ البشري إلى أربعة أقسام:

١) نشأة البشرية وبداية الحضارة الإنسانية.

٢) العهود التاريخية القديمة الخمسة.

٣) التاريخ الإنساني الوسيط، ويشمل الاستخلاف الإسرائيلي وإبراز أثره على العالم.

٤) التاريخ الحديث، وأبرز التحولات فيه بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أشرق نوره على البشرية بحضارة جديدة وليدة يبين فيها للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون.

والآن يا صاحبي:

بين يديك درة مصونة، وجوهرة مكنونة، وكنز من الكنوز قد جهد في إعداده فضيلة المؤرخ المحقق والعلامة المدقق الدكتور/ علي الصلابي فاشدد به يدًا وافتح له قلبًا، ويكفيك لتعرف قدر هذا الكتاب ما قال المؤلف -نفع الله به وبارك فيما يكتب- في الإهداء:

"إلى الراغبين والمتعطِّشين لمعرفة سِرِّ، وقصص الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

إلى السائرين في مدارج السالكين لتحقيق توحيد الله وإفراده بالعبادة، وملازمة الصبر على الطاعات، وعن المعاصي وفي النكبات.

إلى المتعطِّشين إلى الأوبة لخالقهم العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

وفي الختام أتوجه للبارئ سبحانه أن يكتب لهذا العمل القبول في العالمين، وأن يعم به النفع في الخافقين، وأن تشمل بركته وخيره به المؤلف والقارئ، والحمد لله رب العالمين.

تقديم:

عبد السلام مقبل المجيدي

كلية الشريعة/ جامعة قطر

٢٣ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ

٢٥ نوفمبر ٢٠٢٤

تقديم

الأستاذ الدكتور ياسين أقطاي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ في إضافة جديدة إلى المكتبة الإسلامية يكرمنا أستاذنا وشيخنا الدكتور علي الصلابي بمخطوطه حول قصة سيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد أتم شيخنا الصلابي كتابَه في منتصف العام ٢٠٢٤ في أيام تشهد فيها أمتنا تكالبًا غيرَ مسبوق من كل شذاذ الآفاق على فئة صابرة محتسبة مرابطة في أكناف بيت المقدس على أرض فلسطين.

هذه الفئة التي تمثلت في عقيدتها صبر أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بالرغم من ما مسّها ويمسّها من ضرّ من العدو ومن أشياع العدو، إلا أنها فئة آمنت أن النصر هو بشارة لمن صبر وشكر.

ويحمل المخطوط عبراً وبيّناتٍ ربما غابت عن كثير، فكان من الواجب للفاحص المحقق، شيخنا الصلابي، أن يستوثق من بعض الروايات، وما شاب بعضها من شبهات مصدرها إسرائيليات، لا تنسجم مع مقام النبوة والعبودية التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها على عبده أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وحين يسرد شيخنا الصلابي ما ورد في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي الأثر عن ما مرّ به سيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، تتجلى للقارئ معان عدة، أتشرف

بأن أعرج على بعضها هنا، معترفًا بأني اجتهدت أن أقارب منها ما وجدته متوافقا مع ما نعيشه اليوم من واقع لا يسرّ صديقًا، وجعلَنا بين الأمم تتداعى علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، والسبب حب الدنيا وكراهية الموت، وبين هذا وذاك فقدان الصفة التي اختص الله بها عباده المؤمنين، صفة الصبر.

فالمعنى الأول الذي استثار انتباهي، إضاءة شيخنا على أساليب الشيطان في غواية الخلق وتعدّدها ما بين وسوسة واستحواذ وما بين أزّ واحتناك، وما يفعله الشيطان من تخويف لأوليائه، وغير ذلك من المكائد التي أراها بالضرورة تتشابه وتتطابق مع أساليب أعداء الأمة في زماننا هذا في حملتهم المسعورة على كل مظهر من مظاهر العقيدة التي ننتمي إليها باعتزاز.

والمعنى الثاني، أن قيمة الصبر هي قيمة رفيعة ذكرت في أكثر من سبعين موضعًا في القرآن الكريم وأكثر من مائة مرة، ما يدلل على أن قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هي مثل يحتذى للمؤمنين، أفرادًا وجماعاتٍ، فالصبر وسيلة لنصر الجماعة، والصبر مدعاة لرضى الخالق عن الفرد والجماعة.

أما المعنى الثالث، فإن على الإنسان السعيَ، وأن الغنى واكتساب المال الحلال بما يتفضل به الله على عبده من أسباب الخير، أمر محمود طالما كان المصدر حلالًا والإنفاق موجّهًا في غايات نبيلة وفي مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ.

والمعنى الرابع، أنّ الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن الأيام تتداول بين الناس، فمن كان مسيطرًا متجبّرًا مغترًّا ربّما يجد نفسه على حال أخرى ذليلا مهينا في لمح البصر، فعلى الإنسان وكذلك الدول أن لا تغترّ بعظمة أو نفوذ، فما منحه الله قد يسحبه، و ما أنعم به قد يرفعه، ولا ننسى أن الله هو الرزاق وهو المنتقم.

ولا شك أن كتاب شيخنا يحتوي على معان أسمى وأعمق، للقارئ الكريم أن يعيشها متخيلًا ملكوت الله ومستشعرًا عظمة الخالق جَلَّوَعَلَا.

إنَّ كافة أنبياء الله هم للمسلم قدوة ولا يكتمل إيمان المرء إلا إذا آمن بما حملوه من رسالة، فهم شخصيات عظيمة اختصها الله عَزَّوَجَلَّ بوحيه ورسالته، وقد ذُكرتْ أفعالُ وأقوالُ أنبياء الله في كتابنا العظيم، القرآن الكريم، وكذلك ما وردنا في الحديث الشريف لتكون لنا هداية ودليلا.

فكل واحد من هؤلاء الأنبياء بعثه الله في فترة تاريخية مختلفة، إلى قومه، وبِلُغة أولئك القوم، وحيث إنهم بشر من جملة البشر، فقد كان لكل واحد منهم طبعه الذي يتميز به عن سواه.

وعند التمعّن في الفترات والمجتمعات التي عاش فيها كل نبي من أنبياء الله والمشاكل التي واجهها، نجدها تُظهر خصائص كل قوم وتكشف عن خصوصيات لفترة الزمنية التي عاشوا فيها.

فمثلًا، وقف النبي موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أمام فرعون لإنقاذ بني إسرائيل من العبودية في تحدٍّ واضح لمن اعتقد أنه "الربّ الأعلى".

وفي قصة النبي نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ نتعلم فضيلة الإصرار على الدعوة إلى سبيل الله، سرًّا وجهرًا دون كلل.

أما نبينا يوسف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، فقد ابتُلي بالحسد من إخوته وبمحاولة الغواية من زوج سيده وسجن في سبيل الله كي لا يقع في فعل الحرام، وبفضل صبره وثباته مكّن الله له في الأرض فأصبح عزيزًا حاكمًا.

وفي قصة النبيْن داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عبرٌ كثيرة للحاكم المنتصر والإنسان المتمكّن.

ولنا في سيرة سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أروع الأمثلة في تحدي الطاغية، والإيمان بعطاء الله ووعده بنصر المؤمن الصادق، وترسم إطارًا لعلاقة الإنسان مع أقرب الناس إليه، الوالدين، بحيث لا يتقدم حبّهما على حبّ الله وطاعة الله وإن كان البرّ بهما واجبًا قطعًا.

كل واحد من هؤلاء الأنبياء عاش حياة مختلفة في ظروف تاريخية متباينة، ولكن قصصهم جميعها تتوحّد في القرآن الكريم تحت مسار واحد وحيد، وهو الدعوة إلى التوحيد والنضال من أجل "لا إله إلا الله".

ثم كانت الخلاصة في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث تظهر في مثالٍ فريدٍ وكامل، فنبيّنا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تمثلت في شخصه ودعوته كل خصال الأنبياء، فكان لنا الرحمة المهداة وكان بأمر ربنا خاتمَ الأنبياء.

أن شعارَ المؤمن المسلم "لا إله الا الله" هو القاسم المشترك بين جميع أصحاب الرسالات الإلهية، وتتجسد في حياة كل نبي عَبْر اختبارات مختلفة وتُستمر بطرق وسير متباينة.

لهذا فليست قصة أيّ نبي حكايةً من أساطير الأولين كما قال أهل الكفر، بل إن قصص الأنبياء تعتبر نبراسًا يضيء حياة المؤمن ويرشده على مرّ الزمان.

ما جاد به علينا شيخنا الدكتور علي الصلابي، بجهوده القيّمة وأعماله المتنوعة حتى الآن، نجح بشكلٍ رائع في توضيح هذا الرابط القرآني. وبعد أعماله حول حياة آدم، نوح، إبراهيم، موسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يقدم لنا الآن دراسةً قيمة عن حياة

النبي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، في جهاده، ابتلاءه، وصبره. نشكره جزيل الشكر، ونسأل الله أن يرزقنا دائمًا الاستفادةَ من علمه وفضله.

وهنا نجد أن ما يميز النبي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الأنبياء، صبرُه العظيم على الابتلاءات التي أصابه الله بها، والتي بسببها فقَدَ مكانته في المجتمع وابتعد الناس عنه. ومع ذلك، ظل صابرًا معتمدًا على الله وحده.

فالصبر فضيلة عظيمة، وكم هي حاجة الناس إليها في يومنا هذا، ومن موقعي كأستاذ في علم الاجتماع، أودّ أن أنوّه هنا أن الصبر يعتبر قيمة اجتماعية وأخلاقية تعزّز التماسك الاجتماعي وتحقّق التوازن في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، حيث إن الصبر مرتبط كمعيار بقدرة الفرد على التحمّل في مواجهة الضغوطات المحيطة به، ويختلف المفهوم بين المجتمعات استنادًا إلى القيم والمعايير التي تحكم المجتمع.

ومن فضل الله علينا كأمة الإسلام أن الصبر في معتقدنا عبادة، وطريق نجاة، وامتحان من خالقنا الذي نعبده كما أمرنا ونصبر كما أمرنا وننتظر المفازة كما علّمنا.

فالشكر لله أوّلًا وآخرًا، ثم لشيخنا الصلابي خالص الشكر على ما فتح الله به عليه، فأضاف إلى المكتبة الإسلامية جديدًا موثّقًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور ياسين أقطاي

أكاديمي وسياسي وكاتب تركي

٥/ ١٢/ ٢٠٢٤م

أنقرة – تركيا

مقدمة الكتاب

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أمّا بعد؛ فإنّ هذا الكتاب: (**نبيّ الله أيوب** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ**؛ طريق الشفاء،** ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١])، من ضمن سلسلة الأنبياء والمرسلين، وحلقة مهمّة في تاريخ علم من أعلام الإنسانيّة، وشخصيّة عظيمة أكرمها الله بالنبوّة والرسالة، وخلّدها في كتابه العزيز كقدوة وأسوة للعابدين ولأولي الألباب، وقد صدر من سلسلة الأنبياء والمرسلين:

– موسوعة (نشأة الحضارة الإنسانيّة الأولى وقادتها العِظام، آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

– النبيّ الوزير يوسف الصدّيق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ من الابتلاء إلى التمكين.

– الأنبياء الملوك داوود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وهيكل سليمان المزعوم.

– لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودعوته لقومه الظالمين وعقاب الله لهم.

– هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوال حضارة عاد.

– نبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأسباب هلاك قوم ثمود.

وهذه قصة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإنّ قصّة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي جاءت في القرآن الكريم مليئة بالدروس والعبر والفوائد والعظات والسنن والقوانين، وتُعطي الناس المنهج الصحيح في التعامل مع الابتلاءات.

وإنّ القصص القرآني له علاقة مباشرة بالذاكرة الإنسانيّة، وبأهمّ محطاتها الملهمة في تاريخها الطويل، والوقوف عليها تدبّراً وتأمّلاً وتفكّراً، ممّا يُعين المسلم على السير على الصراط المستقيم، والتواصل مع هذا الركب الميمون "روحيّاً" و"أخلاقيّاً" و"عقائديّاً"، كما أنّه فيه العلاج الشافي من أمراض الشهوات والشبهات، ومعرفة أسباب النجاة، وعوامل الانهيار والهلاك.

فهذا الكتاب يجمع ما قاله المفسّرون والمؤرّخون عن أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونستعين بالله عَزَّوَجَلَّ في التسديد والتوفيق، والوصول إلى الحقيقة، مُستفيداً من آراء العلماء في الماضي والحاضر، مع الوقوف بحزم وعزم ضد الروايات الموضوعة والخزعبلات والأكاذيب والأباطيل التي لا تليق بمقام النبوّة. واعتمدتْ الدراسة على العلم والإنصاف، والتحيّز لمعرفة الحقيقة ابتغاء مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، ورسم المحطّات المهمّة في قصّة هذا النبيّ الكريم.

وقد قُمت بتقسيم هذا الكتاب إلى مباحث، فكان **المبحث الأوّل** يشمل على: اسم أيّوب ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ والتفسير عنه، وبيّنتُ أنّه من نسل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد نصّ القرآن الكريم على هذا النسب في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وبيّنتُ خلاف العلماء في زمانه، وما هو المرجّح عند بعض العلماء، وأظهرتُ بطلان روايات لا تصح في مرض أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحديث المؤرّخين عن مدّة مرضه، وطبيعة البلاء الذي أصابه، وتحدّثتُ عن سفر منسوب إلى أيّوب في العهد القديم، ورأي العلماء فيه، وعن مواضع ذكر أيوب في القرآن الكريم، وعن مكانة أيّوب في موكب الأنبياء والمرسلين.

وفي **المبحث الثاني**: قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأنبياء، فتكلّمتُ عن مقاصد السورة، ومقاصد القصّة، ولخّصتُ أقوال العلماء في تفسير الآيات الكريمة، ووضّحتُ مفهوم سنّة الابتلاء التي تعرّض لها أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأهمّية الدعاء في رفع الشدائد والمحن، وبأنّ المفتاح الأكبر هو التضرّع والانكسار بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة الخالق العظيم، وأنّ السرّ في الشفاء من الأمراض والأضرار التوسّل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وفي هذا المقام كان التوسّل إلى خالقنا العظيم، ورازقنا الكريم، الحكيم العليم بقول أيّوب ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فكان الجواب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

ووقفتُ مع شروط الدعاء وآدابه وأوقاته، ومن يُستجاب دعاؤهم.

وفي **المبحث الثالث**: كان الحديث عن قصّة أيّوب في سورة (ص) فتحدّثتُ عن السورة ومقاصدها، وعلاقة ذكر أيّوب فيها، وكانت هناك وقفات متدبّرة متأمّلة متفكّرة مع الآيات الكريمة، مستأنسًا بآراء العلماء والمفسّرين ومما كتبوا في القصص القرآني وتاريخ الأنبياء والمرسلين:

- كقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [سورة ص: ٤١].
- وقوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ [مريم: ٣].
- وقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [سورة ص: ٤١].

ولقد بيّنتُ حديث العلماء في المصائب بين كسب الإنسان، وإرادة الله عَزَّوَجَلَّ، وأدب الأنبياء مع الله، وأنّه لا سلطان للشيطان على أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. وأعجبني تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ للآية الكريمة، فذكرته، ولخّصت وسائل الشيطان وأساليبه في التأثير على الإنسان، كوسيلة الوسوسة، والاستحواذ، والنزغ، والتسويل، والإملاء، والإلقاء، والإضلال، والتزيين، والاستفزاز، والإغواء، والهمز، والتخويف، وغيرها من الأساليب والوسائل، وشرحت قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [سورة ص: ٤٢] من خلال أقوال العلماء الراسخين المتبحّرين في علوم التفسير، وأجبتُ على هذا السؤال، ومن هم أولو الألباب الذين ذكرهم الله في قصّة أيوب: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [غافر: ٥٤]، وسرت على منهجيّة علميّة في تفسير الآيات التي جاءت في قصّة أيّوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ورجعتُ إلى الأئمّة المعتمَدين من علماء الأمّة كالطبريّ، وابن كثير، والقرطبيّ، والشنقيطي، وابن عاشور، وأبو زهرة، والشعراوي، وغيرهم من القدماء والمعاصرين.

وختمتُ الكتاب بأهمّ صفات وخصائص أيّوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وبيان عقيدة الإسلام في الأنبياء والمرسلين، وأهمّ صفاتهم، ووجوب الإيمان بهم، وحكمة إرسالهم،

ووظائفهم، والأمور التي تفرّدوا بها، ووفاة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كما جاءت عند الطبريّ وابن كثير وابن عساكر -رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا-.

وها قد انتهيت من هذا الكتاب في يوم الثلاثاء الموافق لـ ١١ يونيو ٢٠٢٤م/ ٥ ذو الحجّة ١٤٤٥هـ، وذلك بتمام الساعة الخامسة وعشرين دقيقة بعد صلاة العصر في مدينة الدوحة عاصمة قطر (حفظها الله وسائر بلاد المسلمين).

والحمد لله على فضله ومنّه، ونَسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يتقبّل هذا العمل قبولاً حسنًا، وأن يُكرمنا برفقة النبيّين الصدّيقين والشهداء والصالحين مع إخواني الذين ساعدوني على إتمام هذا الكتاب.

ولا يَسعني في نهاية هذا الكتاب إلّا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام خالقي العظيم، وإلهي الكريم، معترفًا بفضله وكرمه وجوده متبرّئًا من حولي وقوّتي، ملتجئًا إليه في كلّ حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضّل، وربّي الكريم وإلهي العظيم هو الموفّق، فلو تخلّى عنّي ووكلني إلى عقلي ونفسي لتلبّد منّي العقل، وغابت الذاكرة، ويبست الأصابع، وجفّت العواطف، وتحجّرت المشاعر، وعجز القلم عن البيان.

اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك وعلى طاعتك.

اللهم إنّي أعوذ بك من سوء الأخلاق والأعمال والأهواء، وطريق الغواية.

اللهم بصّرني بما يرضيك، واشرح صدري وجنّبني اللهم ما لا يرضيك، واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تُثيبني وإخوتي الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد.

اللهم اجعل هذا العمل لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، واطرح فيه البركة والقبول والنفع العظيم.

نرجو ممن يطّلع على هذا الكتاب ألّا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته من دعائه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

والحمد لله ربّ العالمين.

الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ورضوانه.

د. علي محمّد محمّد الصلّابي.

الدوحة/ يوم الثلاثاء في ٥ ذو الحجّة ١٣٣٥هـ الموافق لـ ١١/ ٦/ ٢٠٢٤م.

المبحث الأوّل

اسم أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ عنه، ومواضع ذكره في القرآن الكريم

أوّلاً: اسمه ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ والتفسير:

١- يرجع نسب أيّوب إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نصّ القرآن على نسب سيدنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. ولكن في خلاف في نسبه قبل إبراهيم، وذكر كثير من المؤرّخين أنّه من سُلالة العيص بن إسحاق، وهو ما صحّحه ابن كثير[١].

ويَذكر بعض المؤرّخين تاريخ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو بعد نبي الله إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنّهم يرون أنّ أيّوب من ذرّية إسحاق، ومنهم من يَذكرها بعد قصّة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنّهم يرجّحون أنّ زوجته بنت لأحد أبناء يوسف الصدّيق (عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام). وعلى أيّة حال فإنّ جمهور المؤرّخين سواء الذين ذكروه بعد إسحاق، أم الذين ذكروه بعد يوسف، يرون أنّه من ولد إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقليل هم الذين يَرون أنّه ولد رجل آمن بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم أُلقي في النار، فلم تحرقه[٢].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٠م، بعناية عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي، دار المعرفة، لبنان، ط٤، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م (١/ ٣١٥).

(٢) نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٤م (١/ ٢٨٣).

واختلفوا في زمانه، فقال بعضهم أنّه حفيد العيص بن إسحاق، فهو في هذا في زمن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنهم من قال بأنّه في زمن إسحاق وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وقال آخرون إنّه كان معاصراً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال آخرون كان معاصراً لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، واعترض آخرون فقالوا إنّه كان معاصرا لبخْتنصَّر، وقال آخرون إنّه كان زمن أزدشير ملك فارس[١].

وقال الدكتور صلاح الخالدي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن حديث القرآن الكريم عن أيّوب بعد الحديث عن داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورتي الأنبياء وص، يوحي بأنّ أيّوب عاش بعد داود وسليمان، وبعثه الله نبيّاً إلى قوم بعدهما، وهذه إشارة بالإيحاء والاستئناس، نذكرها من باب الاحتمال، والله تعالى أعلم[٢].

وأمّا الدكتور محمود عبد نور الدين أستاذ التاريخ والحضارة بكليّة اللغة العربية في جامعة الأزهر، فقد قال: أمّا عصره، فقد اختلف في تحديده والراجح أنّه كان بين يوسف وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[٣].

٢- موطن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اتّفق العلماء والمؤرخون أنّ مقام أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في الشام، واختلفوا في تحديد المكان بالضبط، فمنهم من قال كان بدمشق وما حولها، ومنهم من قال بأنّه كان في سهل حوران جنوب دمشق، ومنهم من قال: كان بآدوم جنوب البحر الميّت، ومنهم من قال غير ذلك، والله تعالى أعلى وأعلم[٤].

---

(١) أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الحافظ، ٢٠٠٠م، ص١٣٣.

(٢) القصص القرآني، الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م (١/ ٩).

(٣) تاريخ الأنبياء، محمود عبده، ص٢١٣.

(٤) معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، محمد الغاني (١/ ١٤٠).

٣- روايات لا تصحّ في مرض أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تحدّث المفسّرون عمّا كان يملكه أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ من المزارع والحدائق، وما كان له من أموال ودواب وأنعام وحرث، يضيق بها الحصر والتعداد، فضلاً عن نعمة القوّة والصحّة، إلى جانب زوجة صالحة جميلة الخَلْق والخُلُق، ومع هذه لم تُبطره هذه النعم الكثيرة، وإنّما صبر لها، وأدّى لها كلّ ما يلزم، من شكر للمنعم جَلَّ جَلَالُهُ وتقدير وعرفان لفضله، وكان رحيماً بالمساكين، كما كان يكفل الأيتام والأرامل، ويُكرم الضيف، فقد شاءت إرادة الله أن يبتليه في ماله وأهله وولده وفي بدنه، فأصابه الضرّ، ونفذت الأموال، ونفقت الماشية، وزال الثراء العريض، وهجم الفقر الشديد، والمرض القاسي العنيد على نبي الله الكريم، وكانت مصيبته في أولاده عظيمة، فما وهن لما أُصيب به من البلايا، وما ضعُف وما استكان، وإنّما قابل ذلك كلّه بالصبر الجميل والإيمان العظيم، فكان في حالتَي الرخاء والبلاء مثالاً لعباد الله الصالحين في إرضاء ربّ العالمين[١].

ومن المعروف أنّ قصّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ دخلها كثير من الإسرائيليّات، والأخبار الواهية التي تزعم تفاصيل، ومضامين لا تليق بالنبيّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يرضاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيّه، وهذه الأخبار تسلّلت إلى كثير من المصادر حتّى بعض المعوَّل عليها في قصص الأنبياء مثل بعض مصادر التفسير والحديث والتاريخ الإسلاميّ[٢].

ومن هذه الأكاذيب والخزعبلات التي لا يجوز اعتقادها بالنسبة لبلاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يصح منها شيئـًا، منها:

- أنّ أيّوب اشتدّ به المرض، وطال البلاء حتّى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وانقطع عنه الناس، وتعفّن جسده، حتّى كاد الدود يتناثر منه، فأُخرج

(١) دراسات تاريخية من القرآن، محمد بيومي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م (٣/ ٢١٢).

(٢) مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، محمد عبد الحميد، دار الفكر، ٢٠٠٣م، ص٢١٤.

من البلد، وأُنفي على مزبلة خارجها، إلى غير ما هنالك من الحكايات المنقولة عن التوراة المحّرفة، أو هي من أقاويل أهل الكتاب.

وهذا القول يتنافى مع منصب النبوّة، وقد قرّر علماء التوحيد: أنّ الأنبياء منزّهون عن الأمراض المنفّرة، فكيف يتّفق هذا القول مع منصب النبوّة؟[١].

إنّ الأمراض المنفّرة كخروج الدود من البدن، مخالفة لمقام النبوّة لأنّ الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وظيفتهم الكبرى الدعوة إلى الله، وهذا الوصف المستقبح المستشنع يُضادّ ذلك؛ إذ إنّه يجعل الناس يهربون وينفرون منهم[٢].

- ووصل بالبعض أنّهم يزعمون أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان كلّما سقط الدود من جسمه ردّه إليه، ويقول لها: يا مخلوقة الله يا مباركة، كُلي ممّا رزقك الله، فهذا فيه نسبة الكبائر إلى أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنّ الإضرار بالجسم والعقل وإيذاء النفس بغير حقّ محرّم، وهذا لا يُقرّه دين ولا يقبله عقل[٣].

وفي هذا القول سفه وباطل، والأنبياء منزّهون عن السفه، فكيف يُنسب ذلك لنبيّ من أنبياء الله يُضرب به المثل في الصبر[٤].

إنّ سيّدنا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن مرضه منفّراً، ولم يخرج منه الدود، ومن ثمّ يعيده على زعمهم ليأكل من جسمه، وكذلك لم تصدر منه روائح كريهة ما دفعت الناس إلى رميه في المزابل[٥]، فهذه من الأكاذيب والأباطيل والبهتان المبين.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٦٧.

(٢) قصص لا تليق بالأنبياء، طارق اللحام، شركة دار المشايع، ط٤، ٢٠٢٠م، ص١١٦.

(٣) تاريخ الأنبياء، ص٢١٥.

(٤) قصص لا تليق بالأنبياء، ص١١٦.

(٥) المصدر السابق نفسه.

– وممّا قيل فيه من هذه الخزعبلات والنزهات أنّ سبب ابتلائه، أن مظلومـًا استعان به فلم ينصره، فابتُلي. وقيل: استضاف يومـًا الناس فمنع فقيراً الدخول فابتُلي بذلك.

– وقيل: كان يغزو ملكـًا، وكان له غنم في ولايته فداراه، ولان معه لأجلها، فترك غزْوه فابتُلي.

وإن هذه القصص الواهية، والأخبار الكاذبة مرفوضة عند العلماء العقلاء، وعند المحقّقين وأهل العلم، والباحثين عن الحقائق الجادّين، وعند أهل البصائر الأنقياء الأبرار، فيجب ألا يُلتفت إليها وألّا يُصغى لها، وألّا تزداد من الناس إلّا استنكاراً، فشخصيّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: شخصيّة منزّهة عن هذا كلّه؛ إنّه نبي حسن الخُلق، مؤمن بالله، عابد نقي صابر راضي النفس، طيّب الفؤاد، عطوف على الفقراء، رحيم بالمساكين، يكفل الأرامل والأيتام، ويُكرم الضيف[١].

وكان لله عابداً ومسبّحـًا وذاكراً وأوّابـًا، ومحسنـًا في أقواله وأفعاله.

٤- مُدّة البلاء:

اختلفت المصادر في مدّة بلواه، فزعم وهب: أنّه ابتُلي ثلاثة سنين، وقال أنس: ابتُلي سبع سنين وأشهر، وقد قال حميد: مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة، وقال السدي: تساقط لحمه حتّى لم يبق إلّا العظم والعصب[٢].

وأورد الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في سلسلته الصحيحة: أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث في البلاء ثماني عشرة سنة، ونصّت الرواية: أنّ نبي الله أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث في البلاء ثماني عشرة سنة[٣].

---

(١) مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، ص٢٦٨.

(٢) قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد الفقي، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م، ص١٨٠.

(٣) أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، دار المعتز للنشر والتوزيع، ص٣٦١.

وذهب إلى هذا القول طائفة من المحقّقين: أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث في البلاء ثماني عشرة سنة، وقد نسب هذا القول إلى أبي حيّان في تفسيره[١]، ومن المعاصرين: الشعراوي والجزائري في تفسيريهما[٢]، فقد ذكرا ما رواه ابن أبي حاتم بسنده، عن الزهريّ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنّ نبيّ الله أيّوب كان في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلّا رجلان من إخوانه، كانا من أخصّ إخوانه، كانا يغدوان عليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه، تعْلم والله لقد أذنب أيّوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشر سنة لم يرحمه الله، فينكشف ما به، فلمّا راحا إليه لم يُبصر الرجل حتّى ذكر ذلك له، فقال أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: وما أدري ما تقول غير أنّ الله عَزَّوَجَلَّ يعلم أنّي كنت أمرُّ على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفّر عنهما، كراهيّة أن يذكرا الله إلّا في حق[٣] قال: وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت بيده، حتّى يبلغ[٤]...» إلى آخر الحديث[٥]، أخرجه ابن حبّان والحاكم وأبو يعلى، وقال الضياء: إسناده صحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحّحه[٦].

---

(١) البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ (٦/ ٣٣٤).

(٢) قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، ط١، ٢٠٠٦م (٢/ ١١٩١)؛ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٨م (٣/ ١٠٨٤).

(٣) الإعجاز العلمي في سياق قصة النبي أيوب، عبد الوهاب القرشي، ص١٩٤.

(٤) مسند الإمام أبو يعلى الموصلي، أبو يعلى الموصلي، ٢٠١٧م، دار التأصيل، ط١، ٢٠١٧م (٣/ ٤٤٨-٤٤٩).

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م (٨/ ٢٠٨).

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ٢٠٠٦م (١/ ٢٥)؛ الحلية، أبي نعيم (٣/ ٣٧٤-٣٧٥).

ونفى أبو بكر ابن العربي صحّة الأحاديث الواردة في شأن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على وجه العموم، وتَبعه في ذلك القرطبي، فقال ابن العربي: وأمّا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يصح عنه أنّه ذكره بحرف واحد، إلّا قوله: «بينما أيّوب يغتسل إذ خرّ عليه رِجْل جراد من ذهب... الحديث»[١].

وقال ابن كثير: رفع هذا الحديث غريب جداً، وقال ابن حجر: وأصحّ ما ورد في قصّته: ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير، وصحّحه ابن حبّان والحاكم بسند عن أنس، وذكر الحديث...[٢].

وقال الدكتور محمد أبو شهبة: المحقّقون من العلماء على أنّ نسبة هذا إلى المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمّا من عمل الوضّاعين الذين يركّبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، أو من إسرائيليّات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء، والأصحيّة نسبيّة على أنّ صحّة السند لا تنافي أنّ أصله من الإسرائيليّات، والإمام ابن حجر على جلالته ربّما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلّة العقليّة والنقليّة[٣].

وقال الدكتور عدنان عبد الكريم خليفان: إنّ حديث أنس المرفوع هو نصّ في المسألة إذا ما صحّ، ولكن فيه ما يخالف الأدلّة القطعيّة على عصمة الأنبياء من كلّ ما من شأنه التنفير منهم، كالمرض المنفّر، كما أنّ أبا بكر ابن العربي والقرطبي قد ضعّفا الحديث، وتبعهم أبو شهبة على تضعيفه، وبناء على ذلك فإنّ مدّة البلاء والمرض التي تعرّض لها أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليست محدّدة، بل مبهمة - كما تركها

(١) مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٢) الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، د. عدنان عبد الكريم، المجلس العلمي، ٢٠٢٤م، ص٣٦-٣٧.

(٣) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ٢٠٠٧م، ص٢٧٩.

القرآن الكريم-، ولم تحدّدها أحاديث نبويّة صحيحة، كما لم يُحدَّد نوعُ المرض الذي أصابه عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

٥- ما نُسب إلى أيّوب من الشكوى:

نُسبت الروايات الإسرائيليّة إلى نبي الله أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعض الأفعال والأقوال التي تدلّ على جزعه، وعدم صبره على ما أصابه من بلاء، وذلك ممّا يتنافى مع منصب النبوّة، ومع وصف القرآن له.

ومن هذه الروايات: رواية الطبري التي تناقلها بعض القصّاص في القديم والحديث، وفيها: أنّ أيّوب وضع التراب على رأسه لـمّا جاء خبر مقتل أولاده[٢].

وفي كتاب (صبر أيوب) لمؤلّف معاصر نقل عن أيّوب قوله: لماذا كلّ ذلك يا ربّي؟، لماذا جئت بي إلى هذه الحياة؟ لماذا لم أمت وأنا جنين في رحم أمي؟ أو لماذا لم تزهق روحي بعد خروجي من بطنها؟ لماذا يا ربّي لم تجعل مصيري القبر؟[٣].

وقال على لسان نبيّ الله أيّوب: ولكنّني لم أخطئ، أريد أن يخبرني الله بما اقترفته من الآثام والخطايا[٤].

وقال على لسانه: لماذا يعيش المنافقون في بسطة من العيش، وتطول أعمارهم، ويعظم اقتدارهم؟

بينما يتمرّغ الطيّبون والمؤمنون في الشقاق والعذاب، لماذا يا ربّي؟ لماذا؟[٥].

---

(١) الإعجاز العلمي في سياق قصّة النبي أيوب، ص١٩٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيت الأفكار، ٢٠٠٩م (١/ ٣٠٦).

(٣) صبر أيوب، محمد كامل حسن، المكتب العالمي، ط١، ١٩٧٩، ص٦٥.

(٤) المصدر السابق، ص٦٥-٦٧.

(٥) المصدر السابق، ص٧٧.

وهـذا من الأكاذيب، وخرافات الأساطير، وأباطيل القصص، ويتنافى مع العصمة من الذنوب، باتفاق العلماء، ومع ثناء الله على أيّوب ولصبره على البلاء، كما سيأتي تفسير الآيات بإذن الله.

ولا سيما أنّ هذا الكلام المنسوب لأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يتضمّن سخطـًا لأقدار الله، واتّهامـًا للحقّ تعالى بمجانبة العدل، فكيف ينسب مثل هذا الكلام لمؤمن فضلاً أن يكون نبيّـًا يُضرب به المثل في الصبر؟[١].

٦- طبيعة البلاء الذي أصابه:

وجدنا بعض المؤرّخين والمفسّرين قد نقلوا روايات عجيبة وغريبة في طبيعة المرض الذي أصاب أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلّها من الإسرائيليّات، حتّى زعم بعضهم أنّه كان مكتوبـًا على جبينه (المبتلى الصابر)[٢].

ومن هذه الروايات: أنّ الدود كان يتناول بدنه فصبر حتّى تناولت دودة قلبه، وأخرى لسانه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣][٣].

وقد روي عن الحسن أنه قال: ما كان بقي من أيّوب إلّا عيناه وقلبه ولسانه، فكانت الدواب! تختلف في جسده. قال: فمكث في الكناسة سبع سنين وأيّامـًا، أو قال وأشهراً، وروي عن سليمان مثل ذلك[٤].

---

(١) الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، عدنان عبد الكريم خليفات، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مج ٢٩، عدد ٩٨، ٢٠١٤م، ص٣٧.

(٢) المصدر السابق، خليفات، ص٣٨.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م (٨/ ٣٥٩).

(٤) كتاب الزهد، أحمد بن حنبل، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م، ص٧٧-٧٨.

وبالغ بعض المفسّرين فزعم أنّ الله سلّط على جسده اثني عشر ألف دودة، وذلك لأنّها عدد الجند الكامل، كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اثنا عشر ألف لن تُغلب عن قلّة أبداً»[١].

- ومنها: أنّه أصابته أَكَلَة في بدنه، فلمّا عظمت وتقطّع بدنه أخرجه الناس من بينهم، ولم يبق معه غير زوجته[٢].

وروى ابن جرير عن وهب بن منبه قال: لم يكن بأيّوب الأكلة إنّما كان يخرج منه مثل ثدي النساء ثمّ ينفقأ[٣].

ومن هذه الروايات: أنّه انقطع الوحي عنه أربعين صباحًا، وخاف هجران ربّه، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣][٤].

- ومنها: أنّ الضرّ الذي أصابه هو شماتة الأعداء[٥].

- ومنها: أنّ ضرّه قول إبليس لزوجه: اسجدي له، فخاف ذهاب الإيمان عنها فتهلك، ويبقى بغير كافل[٦].

ومن هذه الروايات: أنّه وثب ليصلّي فلم يقدر النهوض[٧]، ورجّح هذا الألوسي[٨].

---

(١) روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي الخلوتي، دار الفكر، ٢٠١٣م (٥/ ٥١٢-٥١٣).

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧م (٢/ ٣٨٤).

(٣) الأصيل والدخيل في التفسير في قصّة أيوب، ص ٣٨.

(٤) المصدر السابق، ص٣٩.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) فتح البيان (٨/ ٣٥٩).

(٧) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٦). وانظر: الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، ص٣٩.

(٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي،=

وزعم بعض المفسّرين أنّ ما أصاب أيّوب هو مرض في جلده، لكنّه ليس منفّراً، ولعله يستند في هذا إلى ما نسب إلى مجاهد من أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أوّل من أصابه الجدريّ[١].

ورأى بعض العلماء أنّه ما أصاب أيّوب من الابتلاء على الوجه الذي ذكره المفسّرون وعلماء التاريخ من مرض منفّر، إنّما كان قبل النبوّة، وإنّ منحة النبوّة إنّما كانت لما بدا منه من الصبر والرضا بما أصابه من مكروه، وبهذا قال عبد الوهاب النجّار، وتابعه عليه محمد الوكيل[٢].

وعموماً فهذه الروايات العجيبة تتنافى مع عصمة الأنبياء، وسلامتهم من الأمراض المنفّرة التي لا تليق بمنصب النبوّة كما نصّ على ذلك العلماء.

فكيف يدّعى أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بسبب هذا المرض أُخرج إلى خارج البلدة، وأُلقي على المزبلة؟ سبحانك هذا بهتان عظيم[٣]. وقال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد روى المفسّرون هاهنا في بلاء أيّوب روايات مختلفات بأسانيدها واهيات لا يُقام لها عند أئمة الأثر وزن، ولا تعار من الثقة أدنى نظر، نعم، يوجد في التوراة سفر لأيّوب فيه من شرح ضرّه، بفقد كلّ مقتنياته ومواشيه وآل بيته، وبنزول مرض شديد به، عُدم بعدها الراحة ولذة الحياة غرائب، إلّا أنّها ممّا لا يوثق بها جميعاً، لما دخلها من المزيج، وتوسّع فيها من الدخيل، حتّى اختلط الحابل بالنابل[٤].

= دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ (٧/ ٧٦-٧٧). وانظر: الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، ص ٣٩-٤٠.

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م (٢/ ١٦٠٥).

(٢) قصص القرآن، النجار، ص٣٤٩؛ نظرات في أحسن القصص (١/ ٢٩٦)

(٣) الأصيل والدخيل في التفسير في قصة أيوب، ص ٤٠.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ثم قال: ولو علم الله خيراً في أكثر ممّا أجمله في تنزيله الحكيم، لتفضّل علينا بتفصيلهن ولذا يوقف عند إجماله فيما أجمل، وتفصيله فيما فصّل[١]. وأمّا الروايات الأربع الأخرى في وصف ضرّ أيوب، وهي:

انقطاع الوحي، وشماتة الأعداء، وقول إبليس لزوجة أيّوب ما قال... وكونه مرضـًا جلديّـًا، فليس عليها دليل صحيح من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه الأمور الثلاثة أو أي واحد منها -عدا المرض الجدري- لا يُطلق على الضر كما هو معلوم في اللغة وكما فسّره المفسّرون.

وأمّا الرواية الأخيرة: من أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وثب ليصلّي فلم يقدر على النهوض، فهي تدلّ على مظهر من مظاهر المرض الذي أصابه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس بالضرورة أن يكون هذا مرضه.

وأمّا قول النجّار ومن معه: بأنّ الابتلاء الذي أصاب أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّما أصابه قبل النبوّة فليس بقول مقبول؛ وذلك لأنّنا لا نسلم أوّلاً أنّ ما أصاب أيّوب هو مرض منفّر، فليس هناك دليل صحيح عليه، كما أنّ الأنبياء عمومـًا أوحي إليهم بالنبوّة من غير أن يسبق ذلك أمراض تصيبهم فتنهكهم.

وكيف يُصاب نبي الله بمرض منفّر مدّة طويلة، تبلغ ثماني عشر سنة كما في بعض الروايات؟ وكيف سيُبلّغ النبيُّ دعوتَه للناس إذا أُصيب بمرض منفّر طول تلك المدّة؟ هذا محال[٢].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

إنّ سياق الآيات الكريمة في القرآن المجيد الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، يُثبت أنّ الابتلاء وقع أثناء النبوّة، كما أنّ الله تعالى مدحه وأعلى ذكره في موكب النبيّين والمرسلين، وخصّه بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]، فأصبح أسوة لكلّ الناس على مرّ الدهور وتوالي العصور، في تحمّل الأمراض والشدائد والأضرار، فمديح الله له وثناؤه عليه يدلّ على أنّه من الذين أنعم الله عليهم ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩]، ومن جهة أخرى لا يوجد حجّة ولا دليل من القرآن الكريم والسنّة الصحيحة، يحدد نوع المرض الذي ابتلي به أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في بدنه.

ونقل الإمام القرطبي في تفسيره كلاماً جيّداً للقاضي أبي بكر بن العربي، في الردّ على تلك الإسرائيليّات ولوم الذين ردّدوها من المسلمين، قال: والذي جرّأهم على ذلك، وتذرّعوا به إلى ذكر هذا، قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١]، فلمّا رأوه قد شكا مسّ الشيطان، أضافوا إليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الأقوال، وليس الأمر كما زعموا.

والأفعال كلّها خيرها وشرّها، في إيمانها وكفرها، وطاعتها ومعصيتها، خالقها هو الله، لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شيء غيرها. ولكنّ الشرّ لا يُنسب إليه ذكراً، وإن كان موجوداً منه خَلْقاً، أدباً أُدِّبنا به، وتحميداً علّمناه، وكان الخير في يديك والشر ليس إليك... على هذا المعنى.

ومنه قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقال فتى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

ولم يصح عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمره إلّا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين:

الأولى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

والثانية في سورة ص: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١].

وأمّا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يصح عنه أنّه ذكره بحرف واحد، إلّا بقوله «بينما أيّوب يغتسل عريانًا خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيّوب يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: يا أيّوب: ألم أكن أغنيتك عمّا ترى؟ قال: بلى، ولكن لا غنى لي عن بركتك». وإذ لم يصحّ فيه قرآن ولا سنّة فمن الذي يوصل السامع إلى أيّوب خبره؟ أم على أيّ لسان سمعه؟

والإسرائيليّات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بَصَرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنّها لا تُعطي فكرك إلّا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلاّ خبالاً[1].

والخلاصة، أنّه لا سلطان للشيطان على أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحقيقة، وأنّ الله هو الذي ابتلاه بالنّصب في بدنه، والعذاب في ماله، ولكنّه ما نسب ذلك إلى الله أدبًا في مخاطبته، وفي نسبة الأمور إليه[2].

ثانياً: سفر منسوب إلى أيّوب في العهد القديم:

ورد الحديث عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في العهد القديم، وخصّص مؤلّفو العهد القديم له سفراً خاصّـًا، وهو السفر الثامن عشر من أسفار العهد القديم، وتحدّثوا

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢١٠).
(٢) القصص القرآني (٤/ ٢٢).

عنه في اثنين وأربعين إصحاحاً، وفصّلوا الكلام عن سيرته وأمراضه، وتسليط الشيطان عليه وإهلاكه لأمواله وأولاده، ثمّ إصابته بالأمراض العديدة المنفّرة، كما فصّلوا في الحوارات بينه وبين أصدقائه الذين كانوا يزورونه، ويؤيّدونه على كلامه.

وقد صَوّر مؤلّفو (سفر أيّوب) في العهد القديم أيّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بصورة الإنسان المحبط الجزع اليائس ممّا أصابه من الابتلاء والأمراض، الإنسان الكاره للحياة، الذي يتمنّى الموت، الإنسان الساخط على الله المحتجّ عليه، المعترض على قدره، الذي يُكلّمه بعبارات كلّها وقاحة وشكوى واعتراض ولؤم وتأنيب، عبارات نجزم جزماً أنّها لم تصدر عن نبيّ الله أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد استهوت هذه التفصيلات عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في التراث الإسرائيلي بعضَ المؤرّخين والمفسّرين من المسلمين، فأوردها في تواريخهم وتفاسيرهم، وفسّروا بها كلام الله سبحانه[١].

١- رأي عباس العقّاد رَحِمَهُ اللَّهُ في سفر أيّوب:

يبدو سفر أيّوب غريباً في موضعه وموضوعه بين أسفار العهد القديم، ولم يكن من عادة بني إسرائيل أن يجمعوا كتاباً لغير أنبيائهم المتحدّثين عن ميثاقهم وميعادهم، ولكنّهم جمعوا هذا السفر من الأسفار المشهورة، لأنّهم وجدوه في بقاع فلسطين الجنوبيّة محفوظاً يتذاكره الرواة، وحسبه بعضهم من كلام موسى، وبعضهم من كلام سليمان[٢].

٢- رأي الدكتور سامر العامري:

سفر أيّوب لم يقرّبنا إلى القصّة الأصلية، فهو مجهول التاريخ[٣].

---

(١) المصدر السابق (٤/ ١٠).

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، ٢٠٠٧م، ص١٦٣.

(٣) الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأكيولوجي، سامي العامري، ٢٠٢١م، ص٣٣٧.

٣- قال الدكتور محمد بيومي مهران:

سفر أيّوب فهو موضع خلاف بين الباحثين، فهنالك من يرجعه إلى عصر الآباء الأوائل، بل إنّ (هاليس) إنّما يجعل من عام ٢٣٠٠ق.م تاريخـًا لأيّوب، اعتماداً على أنّ السفر لم يُشر بكلمة واحدة إلى خروج بني إسرائيل من مصر، والذي نراه حوالي عام١٢١٤ق.م[١].

على أنّ هناك وجهـًا للنظر يذهب إلى أنّ سفر أيّوب أنّما كتب على أيّام سليمان (٩٦٠-٩٢٢ ق.م)، وحجّتهم أنّه يحمل بين ثناياه إشارات إلى ذلك العهد. على أنّ هناك وجهـًا ثالثـًا للنظر يذهب إلى أنّ السفر قد كُتب قبل السبي البابلي (٥٨٦-٥٣٩ق.م). وهناك وجه رابع للنظر يذهب إلى أنّ سفر أيوب إنّما كتب بعد السبي البابلي بسبب الصراع الواضح فيه بين الثواب والعقاب[٢].

وأمّا لغة سفر أيّوب ففيها تأثيرات آرميّة وعربيّة لا تخطئها عين، وربّما تشير إلى تاريخ متأخّر لكتابة السفر، ومن ثمّ فقد ذهب البعض إلى أنّه إنّما كُتب حوالي عام ٤٠٠ق.م، وفضل آخرون القولَ بأنّه كُتب خلال القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد[٣].

٤- رأي أحمد بهجت في تعليقه على سفر أيّوب:

ونحن نرفض هذا كلّه كحقيقة واقعيّة، ولا نرى بأسـًا من قبوله كعمل فنّي حكاه بعد ذلك الشعراء على لسانه، وبالغوا في وصفه وإحساسه هذه المبالغة الأدبيّة[٤].

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن (٣/ ٢٢٧).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٢٨).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٢٩).

(٤) أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ٢٠٠٦م، ص٢٠٥.

وعلّق الدكتور أحمد بهجت على سفر أيّوب، فقال: انظر إلى تعبير التوراة (فخرج الشيطان من حضرة الرب)، نعلم -كمسلمين- أنّ الشيطان قد خرج من حضرة الربّ منذ أن خلق الربُّ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمتى عاد الشيطان إلى حضرة الرب؟ نحن أمام تعبير أدبيّ ولسنا أمام حقيقة ماديّة[1].

ثالثاً: ذكر أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم:

ورد اسم أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم في سورة النساء، والأنعام، والأنبياء، وص.

١- أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة النساء:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وهذا السياق القرآني يتحدّث عن موكب واحد يتراءى عن طريق التاريخ البشري الموصول، ورسالة واحدة بهدى واحد للإنذار والتبشير، وموكب واحد يضمّ هذه الصفوة المختارة من البشر: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيّوب ويونس وهارون وسليمان وداود وموسى، وغيرهم ممّن قصّهم الله على نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن الكريم، وممّن لم يقصّ عليه، موكب من شتّى الأقوام والأجناس، وشتّى البقاع والأرضين في شتّى الآونة والأزمان، لا يفرّقهم

(١) المصدر السابق، ص٢٠٦.

نسب ولا جنس ولا أرض ولا وطن، ولا زمن ولا بيئة، كلّهم آت من ذلك المصدر الكريم، وكلّهم يحمل ذلك النور الهادي، وكلّهم يؤدّي الإنذار والتبشير، وكلّهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة إلى ذلك النور، سواء منهم من جاء لقوم، ومن جاء لمدينة، ومن جاء لقطر، ثمّ من جاء للناس أجمعين محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيّين.

كلّهم تلقّى الوحي من الله فما جاء بشيء من عنده، أولئك الرسل -من قصّ الله على رسوله ومنهم ومن لم يقص- اقتضت عدالة الله ورحمته أن يبعث بهم إلى عباده يبشّرونهم بما أعدّه الله للمؤمنين الطائعين من نعيم ورضوان، وينذرونهم ما أعدّ الله للكافرين العصاة من جحيم وغضب كل ذلك: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ولله الحجّة البالغة في الأنفس والآفاق، ولكنّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رحمة منه بعباده وتقديراً لغلبة الشهوات على تلك الأداة العظيمة التي أعطاها لهم -أداة العقل- اقتضت رحمته وحكمته أن يُرسل إليهم الرسل مبشّرين ومنذرين يُذكّرونهم ويُبصّرونهم، ويحاولون استنقاذ فطرتهم وتحرير عقولهم من ركام الشهوات، التي تحجب عنها أو تحجبها عن دلائل الهدى، وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق:

- ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].
- ﴿عَزِيزًا﴾؛ قادراً على أخذ العباد بما كسبوا.
- ﴿حَكِيمًا﴾؛ يدبّر الأمر كلّه بالحكمة، ويضع كلّ أمر في نصابه[(١)].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثامنة والعشرون، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م (٢/ ٨٠٥-٨٠٦).

وإننا نقف أمام عظمة العدل الذي يرتّب للناس حجّة على الله سبحانه لو لم يرسل إليهم الرسل مبشّرين ومنذرين، هذا ما احتشد كتاب الكون المفتوح وكتاب النفس المكنون بالآيات والشواهد على الخالق، ووحدانيّته وتدبيره وتقديره، وقدرته وعلمه. ومع امتلاء الفطرة بالأشواق والهواتف إلى الاتصال ببارئها والإذعان له، والتناسق والتجاوب والتجاذب بينها وبين دلائل وجود الخالق في الكون والنفس، مع هبة العقل الذي يملك أن يُحصي الشواهد ويستنبط النتائج، ولكنّ الله سبحانه بما يعلم من عوامل الضعف التي تطرأ على هذه القوى كلّها، فيعطّلها، أو يفسدها، أو يطمسها، أو يدخل في حكمها الخطأ والشطط، قد أعفى الله من حجّية الكون وحجيّة الفطرة، وحجيّة العقل، ما لم يرسل إليهم الرسل، ليستنقذوا هذه الأجهزة كلّها ممّا قد يرين عليها، وليضبطوا بموازين الحق الإلهيّ الممثّل في الرسالة، هذه الأجهزة؛ فتصحّ أحكامها حين تستقيم على ضوابط المنهج الإلهي، أو تسقط حجيّتها وتستحقّ العقاب[1]، وخطأ وضلال -إن لم يكن هو الخداع والتضليل- كلّ زعم يقول: إنّ العقول الكبيرة كانت حَرِيَّة أن تبلغ بدون الرسالة ما بَلَغته بالرسالة، فالعقل ينضبط مع الرسالة بمنهج النظر الصحيح، وآية أنّ ما يتمّ بالرسالة -عن طريق العقل نفسه- لا يمكن أن يتمّ بغيرها، فلا يغني العقل البشري عنها.

إنّ تاريخ البشريّة لم يسجّل أنّ عقلاً واحداً من العقول الكبيرة النادرة اهتدى إلى مثل ما اهتدت إليه العقول العاديّة والمتوسّطة بالرسالة.

- لا في تصوّر اعتقادي.
- ولا في خُلُق نفسي.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٨١١).

- ولا في نظام حياة.

- ولا في تشريع واحد لهذا النظام.

إنّ عقول أفلاطون وأرسطو من العقول الكبيرة قطعاً، بل إنّهم ليقولون: إنّ عقل أرسطو هو أكبر عقل عرفته البشريّة -بعيداً عن رسالة الله وهداه- فإذا نحن راجعنا تصوُّره لإلهه -كما وصفه- رأينا المسافة الهائلة التي تفصله عن تصوّر المسلم العادي لإلهه مهتدياً بهدي الرسالة[1].

فسبحان الله الذي قال في كتابه الكريم: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ونلاحظ في الآية الكريمة، أنّها لا تراعي التسلسل التاريخي في هذا العرض -كما يُلاحظ في مواضع أخرى- لأنّ المقصود هنا هو الموكب بجملته، لا تسلسله التاريخي.

ومن جملة من ذُكر في هذا الموكب العظيم من الأنبياء والمرسلين: أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبالتالي دخل في مقام النبوّة والرسالة، وفيمن أوحى الله إليهم برسالته.

٢- أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة الأنعام:

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ

(١) المصدر السابق نفسه.

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٠].

وكانت التعقيبات على هذا الموكب المبارك:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤].
- ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٦].
- ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وكلّها تعقيبات تقرّر إحسان هذا الرهط الكريم، واصطفاءه من الله وهدايته إلى الطريق المستقيم، وذكر هذا الرهط على هذا النحو، واستعراض هذا الموكب من هذه الصورة كلّه تمهيدٌ للتقريرات التي تليه:

- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]:

هذا تقرير لينابيع الهدى في الأرض، فهدي الله للبشر يتمثّل فيما جاءت به الرسل، وينحصر المستيقن منه، والذي يجب اتّباعه في هذا المصدر الواحد، الذي يقرر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّه هو هدى الله، وأنّه هو الذي يهدي إليه من يختار من عباده، ولو أنّ هؤلاء العباد المهديّين حادوا عن توحيد الله وتوحيد المصدر الذي يستمدّون منه هداه، وأشركوا بالله في الاعتقاد أو العبادة أو التلقّي فإنّ مصيرهم أن يحبط عنهم عملهم: أي أن يذهب ضياعًا ويهلك كما تهلك الدابّة التي ترعى نبتًا مسمومًا، فتنتضح ثمّ تموت، وهذا هو الأصل اللغويّ للحبوط.

- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]؛ وهذا هو التقرير الثاني، فقرّر في الأوّل مصدر الهدى، وقصره على هدى الله الذي جاءت به الرسل، وقرّر في الثاني أنّ الرسل الذي ذكرهم والذين أشار إليهم؛ هم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والسلطان والنبوّة.

- ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾؛ يجيء بمعنى (الحكمة) كما يجيء بمعنى (السلطان) كذلك، وكلا المعنيّين محتمل في الآية، فهؤلاء الرسل أنزل الله على بعضهم الكتاب كالتوراة مع موسى، والزبور مع داوود، والإنجيل مع عيسى، وبعضهم آتاهم الله الحكمة، كداوود وسليمان، وكلّهم أوتي السلطان على معنى أنّ ما معه من الدين هو حكم الله، وأنّ الدين الذي جاؤوا به يحمل سلطان الله على النفوس وعلى الأمور، فما أرسل الله الرسل إلّا ليُطاعوا، وما أنزل الكتاب إلّا ليحكم بين الناس بالقسط، كما جاء في الآيات الأخرى، وكلّهم أوتي الحكمة وأوتي النبوّة، وأولئك هم الذين وكّلهم الله بدينه، يحملونه إلى الناس، ويقومون عليه ويؤمنون به ويحفظونه، فإذا كفر بالكتاب والحكمة والنبوّة مشركو العرب: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فإنّ دين الله غنيّ عنهم، وهؤلاء الرهط الكرام والمؤمنون بهم هم حسب هذا الدين[1].

إنّها حقيقة قديمة امتدّت شجرتها، وموكب موصول تماسكت حلقاته، ودعوة واحدة حملها رسول بعد رسول، وآمن بها، ويؤمن من يَقسم الله له الهداية، لما يعلمه

(١) المصدر السابق (٢/ ١١٤٤).

من استحقاقه للهداية، وهو تقرير يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن، وفي قلوب العصبة المسلمة -أيّاً كان عددها- إنّ هذه العصبة ليست وحدها، ليست مقطوعة من شجرة، إنّها فرع منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وحلقة في موكب جليل موصول، موصولة أسبابه بالله وهداه.

إنّ المؤمن الفرد، في أيّ أرض وفي أيّ جيل قويّ قوي، وكبير كبير، إنّه من تلك الشجرة المتينة السامقة الضاربة الجذور في أعماق الفطرة البشريّة، وفي أعماق التاريخ الإنسانيّ، وعضو في ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهداه منذ أقدم العصور[1].

- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ وهو التقرير الثالث: فهؤلاء الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان هم الذين هداهم الله، وهُداهم الذي جاءهم من عند الله فيه القدوة لرسول الله تعالى ومن آمن به.

فهذا الهدى وحده هو الذي يسير عليه، وهذا الهدي وحده هو الذي يحثّكم إليه، وهذا الهدي وحده هو الذي يدعو إليه ويُبشّر به قائلاً لمن يدعوهم: ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]: لا يختصّ به قوم ولا جنس ولا قريب ولا بعيد، إنّه هدى الله لتذكير البشر كافّة، ومن ثمّ فلا أجر عليه يتقاضاه، وإنّما أجره على الله[2].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق (٢/ ١١٤٥).

المبحث الثاني

قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ذَكر الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا من قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأنبياء، وهي مكيّة وآياتها اثنتا عشر ومائة، بين يدي السورة، وسورة الأنبياء تعالج موضوع العقيدة الإسلامية في ميادينها الكبيرة: الرسالة، الوحدانيّة، البعث، والجزاء، وتتحدّث عن الساعة وشدائدها، والقيامة وأهوالها، وعن قصص الأنبياء والمرسلين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وتحدّثت بإسهاب عن قصّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه الوثنيّين في أسلوب مشوّق فيه نصاعة البيان، وقوّة الحجّة والبرهان، ما يجعل الخصم يقرّ بالهزيمة في خشوع واستسلام، وفي قصّته عبر وعظات. وتتابع السورة الحديث عن الرسل الكرام (عليهم الصلاة والسلام)، فتتحدّث عن إسحاق ويعقوب ونوح وداوود وسليمان وأيّوب وإسماعيل، وإدريس وذي الكفل، وزكريّا، وعيسى، بإيجاز مع بيان الأهوال والشدائد التي تعرّضوا لها، وتختم ببيان رسالة سيّد المرسلين حبيبنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين[1].

واستخدمت السورة أسلوبين لإثبات العقيدة:

الأوّل: أسلوب التقرير والمجادلة كما في سورة الأنعام.

---

(١) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، دار الأمان، الرباط، ص١٦٣.

والثاني: أسلوب القصص كما في سورة الأعراف[١]. وذكر فيها ستّة عشر نبيّاً، ولم يأت في سور القرآن مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء في سورة من السور، عدا ما في سورة الأنعام، ذكر فيها ثمانية عشر نبيّاً ورسولاً[٢]. وإليك تفسير الآيات التي ذكرت قصّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أوّلاً: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]

هذه قصّة نبيّ الله أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عُطفت على قصّة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، التي عُطفت على قصّة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، التي عُطفت على قصّة إبراهيم ولوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فهذه السورة تضمّ حشداً كبيراً من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد مرّ قبل أيّوب سبعة أنبياء (وأيّوب) وبعده (إسماعيل وإدريس وذا الكفل،) (وذا النون) (وزكريا) (ويحيى) فهؤلاء سبعة أيضاً، ثمّ مريم وابنها ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، فالسورة اسم على مسمّى[٣].

١- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

الواو للعطف، وعطفت قصّة على قصّة، واستجابة على استجابة، ونداء على نداء ونجاة على نجاة[٤].

أ- ﴿وَأَيُّوبَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

نُصب اسم النبيّ الكريم، وعطفاً على من قبله، بتقدير (واذكر أيّوب)، أو (ونجّينا

(١) الخارطة القرآنية، مشعل الفلاحي، دار القلم، دمشق، ٢٠٢٢م، ص١٥٥.
(٢) مقاصد سور القرآن الكريم، منذر محمد، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٢، ص١٣٤.
(٣) تفسير سورة الأنبياء، د. أحمد نوفل، ص٤٠٧.
(٤) المصدر السابق نفسه.

أيّوب) أو (وأحببنا أيّوب)[١]. وقيل سُمّي أيّوبـًا لأنّه آب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو العبد الصالح الأوّاب[٢]. وأيّوب لفظ عربي قديم، وهو يتضمّن المعاني والدلالات الكثيرة البنّاءة[٣].

ب- ﴿إِذْ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

ظرف لما مضى من الزمان، يُستخدم لاستحقار لقطة معيّنة من قصّة مطوّلة، يُراد التوقّف من القصّة عند هذه اللقطة، فهي المعيّنة والمقصودة، والمنسجمة مع جوّ السياق والسورة[٤].

جـ- ﴿نَادَىٰ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

جوّ سورة الأنبياء، نداء واستجابة، ومعنى ﴿نَادَىٰ﴾؛ دعاء واستغاثة، وتضرّع، وناجى ربّه بحاجته فناجاه[٥].

﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ دعاه وناداه بمطلوب[٦].

د- ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

مولاه وسيّده، وخالقه، ومصرّف شؤونه، ومالك أمره كلّه[٧].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٠٨.
(٢) أحسن القصص، د. زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٨م، ص٢٨٤.
(٣) أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها، خالد محمد خالد، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ط١، ٢٠١٦م، ص١٩٣.
(٤) تفسير سورة الأنبياء، ص٤٠٨.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٢م (١٥/ ٩٦١٦).
(٧) تفسير سورة الأنبياء، ص٤٠٨.

وهذا النداء والدعاء من أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يدلّ على علمه وحكمته وإيمانه العميق بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نادى الخالق العظيم المدبّر لهذا الكون، ربّ كلّ شيء وخالقه ومليكه، والقادر عليه، والمتصرّف في جميع أموره، وبهذا فإنّه لا يخرج شيء عن ربوبيّته، فكان أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على يقين واعتقاد راسخ، وكلّ الأنبياء والمؤمنين بالله عَزَّوَجَلَّ بأنّه لا يخرج شيء عن ربوبيّته، وكلّ من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، ولذلك نتعلّم من قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنّ من معاني الربوبية اختصاصه سبحانه بجلب المنافع ودفع المضار وتفريج الكروب وقضاء الحوادث.

ونتعلّم من قصّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كلّما عرف العبد ربّه بأسمائه وصفاته أثّر هذا في دعائه وقوّة رجائه، ولجوئه وتضرّعه لربّه سبحانه، والوثوق بكفايته سبحانه، وقدرته على قضاء حوائج عباده. ولذلك نرى في أدعية أنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأوليائه تكرار الدعاء بقولهم (ربّنا) (ربّ)[١].

ومن أخصّ صفات الربّ عَزَّوَجَلَّ الرحمة، والرأفة بعباده، وأنّها من موجبات ربوبيّته، ومن ذلك تربيته لعباده وإنعامه عليهم، وإرساله الرسل إليهم، وإنذارهم وتبشيرهم، وهذه هي من لوازم التربية العامّة، وأمّا التربية الخاصّة من الله عَزَّوَجَلَّ لأوليائه بتوفيقهم، وحفظهم ورعايتهم وتربيتهم، فالرحمة والرأفة والمغفرة واضحة جليّة في ذلك[٢].

- ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ فيه إشارة إلى أنّ الأنبياء هم أفضل

(١) ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز الجليل، ٢٠١٥م، ص١٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٢.

قدوة وأسوة للخلق أجمعين، ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠][١].

٢- ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

ما ألطف تعبيره ﴿مَسَّنِيَ﴾ كأنه مجرّد مس، فلم يقل اشتدّ بي المرض أو أقعدني، أو هدّني أو اِستفحل، أو نحو هذا، ولكن ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ مجرّد الضرّ، وهو لفظ عام لكلّ أذى وبخاصّة البدن، ومجرّد مسّ، وهو يعني أقلّ ملامسة، ولكن ما الضرّ الذي مسّه، لم يذكر النصّ شيئًا مما حشته الناس من أمراض متنوّعة بَنَتها عقولهم، وصِرن حكايات للمتعة المجرّدة أو أخذتها عن أكاذيب نسجتها المرويّات الإسرائيليّة، التي تنزّه الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عنها، وهم كذلك منزّهون عن الأمراض المنفّرة التي تبعد أقوامهم عنهم، وإلّا كيف سيوصلون دعوتهم إلى الله عند ذلك، وبعد ذلك، فذلك ممّا يقدح فيهم، وفي جمال النصّ وبلاغته، ودلالته، ما يغني عن ذلك كلّه[٢].

أ- الفرق بين الضُّر بالضم والضَّر بالفتح:

والضُّر مشتقّ من (ضَرَرَ)، يُقال: ضرَّه ضرّاً وضرراً، إذا لحق به مكروهًا أو أذى.

والضُّر: هو ما كان من سوء حال أو فقر أو شدّة في البدن[٣].

وقد جعل الإمام الراغب الضُّرُّ على ثلاثة أوجه، وقال:

الضُّرُّ: سوء الحال، إمّا في نفسه: لقلّة العلم والفضل والعفة.

---

(١) تأمّلات في قصّة نبي الله أيوب، ص١٢.

(٢) تفسير سورة الأنبياء، ص٤٠٨.

(٣) القصص القرآني (٤/ ١٢)

وإمّا في بدنه: لعدم جارحة ونقص، وإمّا في حالة ظاهرة: من قلّة مال وجاه.

وقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] محتمل لهذه الثلاثة[١].

وقد ورد في القرآن مصدران: الضَّر بالفتح، والضُّر بالضم، وليسا بمعنى واحد.

الضَّر -بفتح الضاد- ورد عشر مرات، وهو في هذه المرّات كلّها مذكور في مقابلة النفع، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ [المائدة: ٧٦].

وفي قوله: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣].

وأمّا الضُّر -بضمّ الضاد- فقد ورد تسع عشرة مرّة، وهو في هذه المرّات كلّها مطلق، لم يُذكر مقابله النفع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

وكما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وبما أنّه بالفتح مقرون بالنفع، وبالضمّ مطلق، فيبدو أنّ (الضُّر) أعمُّ، لأنّه لم يُذكر ما يقابله في القرآن، أمّا (الضَّر) بالفتح فهو أخص، ويدلّ قول أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] على أنّ الله ابتلاه ابتلاءً عامّاً، فأوقع به ضُرّاً مطلقاً، شاملاً لعدّة أنواع من المكروه والأذى.

مسَّه الضُّر في نفسه وبدنه، حيث أصابه المرض والضعف، ومسّه الضرّ في أهله وأولاده، ومسّه الضرّ في أمواله وممتلكاته.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة تزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م، ص٥٠٣.

وعدم تقييد المجال الذي أصابه الضُّر في الآية ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، يدلّ على العموم والشمول واستغراق كلّ المجالات والجوانب[١].

ب- تفسير الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لقوله تعالى:** ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال العلماء في ذلك ومنها:

الأوّل: قام ليصلّي فلم يقدر على النهوض، فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؛ إخباراً عن حاله لا شكوى لبلائه.

الثاني: إنه إقرار بالعجز والضعف لا شكوى لبلائه، وهذا الإقرار هو مخّ العبوديّة، فلم يكن منافياً للصبر.

الثالث: إنّه سبحانه أجراه على لسانه إفصاحاً عن صفة الآدميّ في الضعف عن تحمّل البلاء ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

الرابع: إنّه سبحانه أجراه على لسانه ليكون حجّة لأهل البلاء بعده، في الإفصاح بما ينزل بهم.

الخامس: إنّه انقطع عنه الوحي أربعين يوماً فخاف هجران ربّه فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

السادس: إنّه أُبهم عليه جهة أخذ البلاء له، هل هو تأديب أو تعذيب أو تخصيص أو تمحيص أو ذخر له، أو طهر فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؛ أي: ضر الإشكال، وهذا القول انتقده الفقيه المالكي ابن العربي، لما فيه من الغلوّ.

---

(١) القصص القرآني (٤/ ١٣).

السابع: أنّ معنى ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: من شماتة الأعداء، ولهذا قيل له ما كان أشدّ عليك من بلائك، قال: استماتة الأعداء، وسُئل الإمام الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الآية: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ فقال: عرّفه فاقة السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال[١].

جـ- قال الإمام المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وصف أيّوب نفسه، بما يستحق به الرحمة، ووصف ربّه بغاية الرحمة، ولم يصرّح بمطلوبه؛ إيماء منه بأنّ ربّه به عليم، فكأنّه يقول: أنا أهل لأن أُرحم وأنت الكريم الجواد الذي يرحم، فأفضي عليّ من جودك ورحمتك ما يدفع الضرّ عنّي فأنت أرحم الراحمين. وهذا أسلوب الطلب دقيق المسلك حكيم المنْحَى[٢].

د- ويقول العلامة أبو البركات النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو يصف الحال لمن ضربت به في الصبر الأمثال إذ فيه قال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]، وقيل: إنّما شكا إليه؛ تلذّذاً بالنجوى، لا منه تضرّراً بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب، كما أنّ الشكاية منه غاية البعد[٣].

هـ- وقال الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ:

في قوله ﴿أَنِّى مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] -بفتح الهمزة- علة تقدير باء الجر، أي: نادى ربّه بأنّي مسني الضرّ.

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٠-٢٦١).

(٢) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ٢٠٠٧م (١٧/ ٦٠-٦١).

(٣) الأنبياء، ص٤١٠.

والمسّ: الإصابة الخفيفة، والتعبير به حكاية لما سلكه أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما فيه من الضر كالمسّ الخفيف، والضرّ -بضمّ الضاد- ما يتضرّر به المرء في جسده من مرض أو هزال، أو في ماله من نقص ونحوه.

٣- ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]:

وبعدما ذكر أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ حالته بهذه الجملة الموجزة ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ذكر رحمة الله الغامرة، فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وهذه الجملة الإسميّة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ في محلّ نصب حال، لأنّ (الواو) فيها هي واو الحال، أي: أنا مسّني الضرّ، والحال أنّك أرحم الراحمين.

ومعنى هذه الجملة أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يتوسّل إلى الله برحمته أن يكشف عنه ضرّه، فالله رحمن رحيم، وهو أرحم الراحمين، ومن مظاهر رحمته أن يكشف الضرّ عن عباده، وبخاصّة إذا كانوا عباداً صالحين كأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعندما ننظر في دعاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لربّه، فسوف نرى أنّه كان في غاية الأدب مع الله، والرضا بقدر الله، والرغبة في كشف ابتلاء الله.

إنّه لم يفصّل في الضرّ الذي مسّه، ولم يسترسل في الكلام عنه، فقط أشار إلى أنّ هذا الضرّ مسّه، ليس في دعائه شكوى أو سخط، ولا تبرّم ولا اعتراض، فلم يعترض على ابتلاء الله له، ولم يسخط على قدر الله[1].

ولا شك أنّ صورة الالتجاء إلى الله على هذه الكيفيّة إنّما هي صورة من صور الأدب العالي في الدعاء، وما من شك في أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما توجّه إلى الله

(١) القصص القرآني (٤/ ١٤).

بهذا النداء قد بلغ من الاضطرار إلى الحدّ الأعلى[١]، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

ودعاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لربّه، وتوسّله برحمته، ليكشف عنه الضرّ، دليل على أنّ الأصل في المبتلى بالضرّ أن يطلب من الله كشف ضرّه، وأنّ يتضرّع إليه، ويدعوه راغبًا في ذلك، على شرط أن يكون دعاؤه وتضرّعه بأدب مع الله، وعدم الاعتراض عليه، أو السخط على قدره وهذا الدعاء والتضرّع من لوازم الإيمان بالله، ولا ينافي تسليم الأمر لله، والرضا بقدره، وإنّ الله يريد من عباده دعاءَه، وطلبَ حاجاتهم منه[٢].

وأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في أدبه الرفيع في تضرّعه ودعاءه يعلّمنا بسيرته وسلوكه وكلماته وصبره واحتسابه، كيف تتعامل مع الله في الدعاء والاستغاثة به، والتوكّل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ووصف ربّه بصفته: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ثمّ لا يدعو بتغيير حاله، صبراً على بلائه، ولا يقترح شيئًا على ربّه، تأدّبًا معه، وتوقيراً، وإنّه ليتحرّج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كلّه إليه اطمئنانًا إلى علمه بالحال، وغناه عن السؤال[٣].

وفي قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الآية دروس وعبر وفوائد، منها:

---

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون، عبد الحليم محمود، ص١٦٥.
(٢) القصص القرآني (٤/ ١٥).
(٣) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٩٢).

– الضراعة إلى الله مطلوبة، والدعاء إلى الله مطلوب، والدعاء مشروع، بل هو عنوان العبوديّة والافتقار.

– عرض الحاجات، وهو من غاية التأدّب مع خالق الأرض والسماوات.

– ألطف أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في السؤال، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربّه بغاية الرحمة، ولم يصرّح بالمطلوب.

– لا ملجأ من الله إلّا إلى الله في كلّ حال ومآل.

– إذا سألتَ فاسأل الكبير المتعال، وما أجمل من قال:

لاَ تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبوَابُه لاَ تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

– في سؤال الله تعالى عزّة، وانتظار الإجابة بركة ورحمة.

– التوجّه إلى الله بشكوى الحال؛ حريّ بأن يستجيب سبحانه في الحال أو في وقت حكمه بلا إهمال.

– الشكاية إلى الله غاية القرب، كما أنّ الشكاية من الله غاية البعد.

سؤال الله تعالى في كشف البلوى، لا يعني ترك التداوي، فإنّه من الأخذ بالأسباب، التي أُمرنا بها، لرفع البلوى.

عباد الله لا يُهوّلون في تضرّعهم لربّهم، ما يصيبهم من ابتلائه، بل يُهوّنون منه، مجرّد مس، مجرّد ضر، مقابل يقينهم في ربّهم، قربًا ورحمةً وأجراً مدهشًا[1].

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٢.

- ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ كون الله أرحم الراحمين، لأنّ رحمته أكمل الرحمات، لأنّ كل من رحم غيره؛ فإمّا أن يرحمه طلباً للثناء في الدنيا أو للثواب في الآخرة، أو دفعاً للرقّة العارضة للنفس من مشاهدة من تحقّ الرحمة له، فلم يخل من قصد نفع لنفسه، وأمّا رحمته تعالى عبادة، فهي خالية من استجلاب فائدة لذاته العليّة[١].

دعا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ربّه بأحد أسمائه المناسبة لهذا المقام ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فمن أسمائه الحسنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرحمن، الرحيم، وهما مشتقّان من الرحمة، وهي الرقّة والحنوّ والعطف[٢].

إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عارفاً بالله عَزَّوَجَلَّ من خلال أسمائه وصفاته، ولذلك قال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وبعدما دعا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ربّه استجاب الله له، فكشف عنه ضُرّه.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

في الآية السابقة، كان دعاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وضراعته إلى ربّه وفي هذه الآية، استجابة الدعاء، وكشف الضرّ عنه، وهما متلازمان، فالآيتان متناسقتان أشدّ التناسق، ومترابطتان متكاملتان، وهذه الآية (١٦) كلمة، و(٦٨) حرفاً.

---

(١) التحرير والتنوير، تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٣م (٧/ ٣٠٩).

(٢) إنه الله، شرح أسماء الله الحسنى، شريف فوزي، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م، ص٢٤.

ويُلاحظ أنّ عدد كلمات الآية (١٦)، وعدد حروفها (٦٨)، ومجموعها يساوي رقم الآية في السورة (٨٤)[١].

١ - ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

بفاء التعقيب ابتدأت هذه الآية، لتدلّل على سرعة الاستجابة عقب النداء، نداء الاستغاثة، الذي صدر عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبنون الجمع التي للعظمة، والله واحد، وهذا من أساليب اللغة العربيّة، ونون العظمة إذاً، لتعظيم الاستجابة والمجيب، وكيف لا، وهي من العظيم سبحانه.

ووصل الضمير، الهاء بالله (له) وكان يمكن الاكتفاء، بالقول ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ ولكن عبّر بهذه الطريقة، لتخصيص الاستجابة وتقويتها[٢].

- ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾؛ وهذه الاستجابة رحمة من الله به، وقدّر الله أن يجعلها مترتّبة على الدعاء، فالدعاء سبب في الاستجابة، ولكنّ المسبِّب والمقدِّر والمريد هو الله سبحانه.

وهذا هو معنى قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][٣].

إنّ استجابة الله لدعاء عباده سنّة ثابتة وعبادة عظيمة، قام بها أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ غاية القيام، مبيّنًا فقره المطلق لله عَزَّوَجَلَّ في كلّ أحواله وشأنه.

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٣.

(٢) المصدر السابق، ص٣١٤.

(٣) القصص القرآني (٤/ ١٥).

وإنّ المؤمن بالله إيمانـًا حقيقيّـًا يعلم أنّه فقير إلى الله فقراً مطلقـًا في كلّ الأحوال راضيـًا بقضاء الله وقدره في كلّ الظروف والأزمات.

٢- ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

بفاء التعقيب أيضـًا، فهذه الثانية، لتعزيز الأولى، ووصلها بالتفصيل، يكشف الضرّ ﴿فَكَشَفْنَا﴾، وكأنّ الضرّ كان سحابة سوداء فانقشعت، وانكشفت.

- ﴿مَا﴾؛ موصوليّة بمعنى الذي، وزاد التعيين والتحديد في الاستجابة.

- ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ أي: ذهب كلّ شيء من الضرّ، وكلمة ﴿مِن ضُرٍّ﴾ تنفي عنه أية بقيّة، أو أيّة شائبة من ضرّ، مهما كانت وهانت[١].

وجملة ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ معطوفة على جملة: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ بحرف العطف الفاء، الدالّ على الفوريّة، أي إنّ كشف الضرّ عنه كان مباشراً للاستجابة، وكان ثمرة قويّة لها.

وكشف الضرّ الذي مسّه، وإزالته عنه، دليل على رحمة الله به، بعدما نجح في الابتلاء، وصبر على البلاء، وإنّ الله هو الذي يكشف الضرّ عن عباده ولا يزيله أحد غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

ولا تبيّن الآية كيفيّة كشف الضرّ عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن كان هناك إشارة خاطفة في آية سورة ص، سنتوقّف عندها قليلاً، عندما نصلها إن شاء الله[٢].

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٤.

(٢) القصص القرآني (٤/ ١٥).

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ رفع عنه الضرّ في بدنه، فإذا هو معافى صحيح، ورفع عنه الضرّ في أهله، فعوّضه عمّا فُقد منهم(١).

٣- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾؛ بنون العظمة، للمرة الثالثة، في هذه الآية: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾ [الأنبياء: ٨٤] ﴿فَكَشَفْنَا﴾ [الأنبياء: ٨٤] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، لتعزيز معنى عظمة الاستجابة والمستجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المجيب القريب.

ومعنى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ قال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيتاء: الإعطاء، أي أعطيناه أهله. وأهل الرجل أهل بيته وقرابته، وفُهم من تعريف الأهل بالإضافة أنّ الإيتاء إرجاع ما سُلب منه من أهل، يعني بموت أولاده وبناته. وهو على تقدير مضاف يعرف من السياق، أي: مثل أهله، بأن رُزق أولاداً بعدد ما فُقد، وزاده مثلهم، فيكون قد رُزق أربعة عشر ابنًا وستّ بنات من زوجه التي كانت بلغت سنّ العقم(٢).

- ﴿أَهْلَهُۥ﴾؛ الأهل في المصطلح القرآني -ومنه أهل البيت- هم الزوجة بشكل أوّلي، ثمّ الأولاد. ويبدو أنّ إيتاء الأهل كان كما قال عن امرأة زكريّا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ويبدو من إشارة النصّ أنّه كان قد فقد أولاده كلّهم أو بعضهم، من ضمن البلاء الذي امتحن الله به أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فوجده مولانا ﴿صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]، فعوّضه الله ما ابتلاه بمضاعفة الأولاد.

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٩٢).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣١٠).

٤- ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

رحمة عظيمة خاصّة من عندنا، وهذه نون العظمة الرابعة في هذه الآية، وكلّ عطاء الله عظيم، فالعظيم يهب على قدر كرمه، وعظمته وجوده[١].

- ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ وانتصب (رحمة) على المفعول لأجله، ووصف الرحمة بأنّها من عند الله تنويهاً بشأنها، بذكر العنديّة الدالّة على القرب المراد به التفضّل. والمراد رحمة بأيّوب إذ قال:

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣][٢].

- ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ وأضافها سبحانه إلى ذاته العليّة، فهي رحمة تليق بذاته الكريمة، وهو الرحمن الرحيم[٣].

٥- ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

يعني: أنّ الذي كان ابتلي به أيّوب لم يكن من هوانه على الله، ولكنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاء للعابدين بعده فيما يُبتلون به[٤].

- ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾؛ تذكّرهم بالله وبلائه، ورحمته في البلاء وبعد البلاء.

وإنّ في بلاء أيّوب لمثلاً للبشريّة كلّها.

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٥.

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣١٠).

(٣) زهرة التفاسير (٩/ ٤٩٠٧).

(٤) موسوعة التفسير بالمأثور، المشرف العلمي مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م (١٤/ ١٢٢).

وإنّ في صبر أيّوب لعبرة للبشريّة كلها.

وإنّه لأفق للصبر والأدب وحسن العاقبة تتطلّع إليه الأبصار.

والإشارة ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ بمناسبة البلاء إشارة لها، مغزاها: فالعابدون معرّضون للابتلاء والبلاء، وتلك تكاليف العبادة، وتكاليف العقيدة، وتكاليف الإيمان، والأمر جدّ لا لعب، والعقيدة أمانة لا تُسلّم إلّا للأمناء القادرين عليها، المستعدّين لتكاليفها، وليست كلمة تقولها الشفاه، ولا دعوى يدّعيها من يشاء ولا بدّ من الصبر ليجتاز العابدون البلاء[(١)].

أ- قال الإمام الزمخشريّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

أي: لرحمتنا بالعابدين؛ وأن نذكرهم بالإحسان لا ننساهم، أو رحمة منّا لأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتذكير لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، حتّى يُثابوا كما أُثيب في الدنيا والآخرة[(٢)].

ب- قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]؛ أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثمّ ما أثابه الله به بعد زواله، ونظروا السبب وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]، فجعلوه أسوة وقدوة عندما يُصيبهم الضرّ[(٣)].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٩٢).

(٢) تفسير الزمخشري (الكشاف)، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٠١٣م (٣/ ١٣١).

(٣) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م، ص٦٩٣.

جـ- قال المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُلي في نفس وولده وماله، فابتُلي بالمرض، وهلاك الأولاد وضياع الأموال امتحاناً منه، واختياراً له، ثمّ كشف عنه ما به من ضرّ، فشُفيَ من أمراضه التي أُصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان وحَسُن حاله في ماله، فزال ما به من عدم وإقتار، ولم يُصرّح القرآن الكريم بما صار إليه من سعة من المال، كما صرّح بما صار إليه أمره من كثرة الولد[١].

د- قال الدكتور طه العلواني رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]:

من أراد أن يَعبُد الله حقّ عبادته مهما كانت ظروفه، فقصة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تساعده وتسعفه، وتقدّم له المثل الأفضل والأحسن والنموذج الذي يُحتذى، فالعابدون أحوج الناس إلى أن تكون بين أيديهم أمثلة للصبر الاحتساب والشكر والاقتراب من الله جلّ شأنه[٢].

ثالثاً: سنّة الابتلاء التي تعرّض لها أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إنّ الابتلاء في اللغة هو الاختبار والامتحان، والابتلاء سنّة من سنن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا تتوقّف ولا تتخلّف، وهي عامّة لجميع الناس، وهي تكليف الناس بالإيمان، المؤمنين والكافرين[٣].

---

(١) تفسير المراغي (١٧/ ٦١).

(٢) تفسير القرآن بالقرآن، د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م، ص٥٤٢.

(٣) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، د. محمد أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥م، ص٤٨٤.

فمن أنواع الابتلاء المترتّب على الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان قد يكون بإلحاق صنوف التعذيب والأذى بالدعاة، وقادتهم الرسل، وقد يكون بالقتال والقتل والشهادة.

ومن الابتلاء ما لا يكون له علاقة بالصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وإنّما هذا النوع من الابتلاء يكون بابتلاء الله أهل الإيمان بمرض عضال من الأمراض بفقدهم الحركة والقدرة على النهوض.

وقد يكون بفقد عضو من أعضائه كذهاب عين المبتلى أو أنفه، أو فقدِ حاسّة من حواسه كالسمع والبصر، أو بفقد عزيز له، كابنه أو أبيه أو أخته أو أخيه، أو ذهاب أمواله وزوالها عن ملكه وتحويل حاله من غنى إلى فقر، ومن يُسر إلى عُسر(١). وقد فصّل العلماء في أنواع الابتلاء وذكروا منها:

- ابتلاء الناس عمومـًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

- الابتلاء بزينة الحياة الدنيا ومتاعها.

- الابتلاء بالخير والشر(٢).

إن الأنبياء أشدّ الناس بلاء، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الصالحون، ثمّ الأمثل فالأمثل، فيُبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة شُدّد عليه في البلاء(٣).

---

(١) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، أبو فارس، ص٤٨٤.

(٢) سنة الله في الفتنة والابتلاء وأثرها العقدي، الزيدي الطويل، دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م، ص٣٠ إلى ٤١.

(٣) سنن الترمذي، أبو جعفر الترمذي، دار التأصيل، ٢٠١٤م، رقم ٢٣٩٨؛ سنن ابن ماجه،=

فالابتلاءات هذه لا تدلّ على أنّ الله لا يحبّ هذ الإنسان، بل لعلّ العكس هو الصحيح[١]، وذلك أنّه جاء في الحديث عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»[٢]. أي: يبتله عَزَّوَجَلَّ، كالذهب يُعرض على النار، فتنقي النار هذا الذهب من الشوائب، حتّى يصير بعد ذلك خالصاً من هذه الشوائب التي كانت عالقة فيه. وظلّت امرأة أيّوب صابرة محتسبة معه، وقامت بحقّ زوجها خير قيام مع طول المدّة وشدّة البلاء[٣].

إنّ ظروف الحياة هي ظروف ابتلاء وامتحان للجميع، فالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مبتلون، وأقوامهم مبتلون، والمؤمنون مبتلون، والكافرون مبتلون، وأنواع الابتلاء مختلفة منها ابتلاء التكاليف، ومنها ابتلاء بالنعم، ومنها ابتلاء بالنقم والمصائب، ومنها ابتلاء الناس بعضهم ببعض[٤].

ومرّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بسنّة الابتلاء بنجاح، وكان ابتلاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ في أولاده وفي أمواله، فهلكت جميعها من إبل وبقر وغنم وزروع وثمار وغيرها...

وابتلاه الله في صحّته بالأمراض والأسقام، فأعجزته عن خدمة نفسه بنفسه، وألزمته الفراش وأفقدته القدرة على الحركة[٥].

= محمد بن يزيد بن ماجه، دار التأصيل، ٢٠٠٦م، رقم ٤٠٢٣.

(١) فبهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عثمان الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ص٢٧٨.

(٢) صحيح البخاري، دار ابن كثير، محمد بن إسماعيل، البخاري، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، رقم ٤٦٤٥.

(٣) فبهداهم اقتده، ص٢٧٨.

(٤) السنن الاجتماعية في القرآن، د. محمد أمحزون، دار طيبة، ٢٠١١م (٢/ ٦).

(٥) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص٤٨٥.

ويؤخذ من ابتلاءِ الله لأيّوب وصبرِه على البلاء الذي أصابه درسٌ في غاية الأهميّة والخطورة، هو الصبر على البلاء والرضا بأمر الله وعدم السخط به.

والرسل جميعـًا -ومنهم أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- أُمروا بالصبر هم وأتباعهم في جميع أنواع الابتلاء فصبروا، والدعاة والعلماء هم ورثة الأنبياء مأمورون بالاقتداء بالرسل في الصبر، بل هم مأمورون في الصبر كذلك[١].

إنّ سنّة الله في الابتلاء ماضية، مرّ بها أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونوح وإبراهيم، وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداوود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ونبيّنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن المهم أن نعرف جيّداً بأنّ مؤاخذة الله لعبده تزداد شدّة ودقّة كلّما ازدادت منزلته من ربّه قربـًا ورفقة، ولهذا يكون ابتلاؤه أشدّ من غيره. وقد كان أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غاية في الصبر وبه يُضرب المثل في ذلك، فإذا ابتلاه الله بما ابتلاه، فذلك لعلوّ منزلته وقربه من الله، وصلابته في دينه، فابتلاه الله على قدر دينه ليزيد من حسناته وقربه منه[٢].

وهكذا عاش أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما عاش سائر الأنبياء، فوجد في تلك الظلال الوارفة من الصبر سعادة روحيّة، وحولت ألمه أملاً، وبدّلت خوفه أمنـًا، وحوّلت المتاعب والآلام إلى راحة وطمأنينة[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٨٦.

(٢) المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م، ص٣٠٤.

(٣) تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد الطيب نجار، مكتبة المعارف، ١٩٨٣م، ص٢٦٣.

وقصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، هي قصّة الإيمان الكامل والصبر الجميل، وهي ترينا أنّ الصبر على الشدائد يصفّي النفوس ويرفع الدرجات، ويعلي قدر الإنسان بين الناس، فيصبح أمامهم قائداً وقدوة، ثمّ يكون له من الله خير العوض في الدنيا، وله بعد ذلك في الآخرة الجزاء الأوفى.

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

ومن ابتلاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يمكننا أن نستخلص ونلخّص الأمور الآتية:

- الابتلاء سنّة ربّانيّة لا يستثنى منها أحد من البشر، ولو كان رسولاً نبيّاً كأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- الابتلاء يكون بالسرّاء ويكون بالضرّاء.

- المبتلى بالسراء يشكر المنعم، والمبتلى بالضرّاء يصبر عليها.

- تعرّض أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لنوعَي الابتلاء في أوّل حياته بالسراء وبعدها بالضراء.

- المبتلى إن رضي فله الرضا وإن سخط فله السخط.

- الابتلاء يدلّ على حبّ الله للمبتلى.

- الله وحده هو مفرّج الكروب.

- الابتلاء يتّعظ منه المؤمنون العابدون أصحاب العقول الكبيرة، والأفئدة المفعمة بالإيمان والتقوى.

- الصبر طريق الفرج والنصر.

- ييسّر الله للمبتلى من وسائل الفرج والنصر ما لا يخطر ببال المبتلين.

- يكافئ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الصابرين في الدنيا ويثيبهم على صبرهم في الآخرة.

- تخفف العقوبة على ذوي الأعذار الذين لا يحتملون العقوبة المقرّرة فإنّها تهلكهم، والعقوبة في الغالب زاجرة وليست قاتلة مهلكة.

- الصبر صفة، ومنقبة ممدوحة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والجزعُ والفزعُ، والاضطرابُ وعدمُ الصبرِ على الطاعة، والكفِّ عن المعاصي، والشهواتِ المحرّمة صفة مذمومة وقبيحة، ينبغي أن يُقلِع عنها كل مؤمن[١].

رابعاً: أهميّة الدعاء في رفع البلاء والشدائد والمحن:

إنّ قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تعلّمنا كيفيّة التعامل مع الله في دعائه وندائه واستعانته لرفع الكروب والأضرار والابتلاءات...

فالدعاء: هو الطلب من الله تعالى لتحقيق أمر مرغوب فيه، ومنه: الطلب والرجاء من الله تعالى لرفع البلاء، وتحقيق الشفاء. وقيل: هو إظهار غاية التذلّل والافتقار إلى الله والاستكانة له. وهذا يتناول دعاء العبادة، ودعاء المسألة المتضمّن لدعاء الثناء، والعبادة، والدعاء: هو التوجّه إلى الله تعالى بالطلب مع التذلّل، ومن فوائده سرعة الفرج وتفريج الكرب، وجلب المصالح ودفع المفاسد، ومداومة الشعور بالضعف والحاجة، وهو من أجلّ أنواع العبادة[٢].

---

(١) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص٥٠٠.

(٢) شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص٥٣٩.

فقصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تعلّمنا وترشدنا إلى أهميّة الدعاء، فقد ابتُلي أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلاءً شديداً فصبر، ثمّ اتّجه إلى الله تعالى بالدعاء تضرّعاً وتذلّلاً، وتعبّداً ورجاءً، حتّى حقّق الله رجاءه وطلبه، واستجاب دعاءه وأعطاه الله أكثر مما طلب وعَوّض عمّا سبق(١).

ويُعلّمنا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ألا تعارض بين الصبر والدعاء، فالدعاء لا ينافي الصبر، والذي ينافي الصبر الشكوى إلى الخلق، أمّا الذي يشتكي إلى الله فهو الصابر المحتسب، وأيّوب لم يشتك إلى الخلق، بل لجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيّوب كان داعياً، ولم يكن شاكياً، بدليل أنّه لمّا قال هذا الكلام، قال الله إليه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، والاستجابة لا تكون إلّا للدعاء فهو دعا، ولم يشتك صلوات الله وسلامه عليه، بل إنّه لمّا جمَع في دعائه بين حقيقة التوحيد وإظهار الحاجة والفاقة إلى الله جَلَّ وَعَلَا، بل والتوسّلِ إليه بأسمائه وصفاته، فاستجابَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ له(٢).

وعلّق ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: على دعاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر، والفاقة إلى ربّه ووجود طعم المحبّة في التملّق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنّه أرحم الراحمين، والتوسّل إليه بصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وشدّة حاجته وفقره عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومتى وجد المبتلى هذا كُشف عنه بلواه(٣).

إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان محبّاً لربّه، ومحتاجاً إليه متذلّلاً له، والقيمة التربويّة من دعاء أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هي أنّ العابد يجب أن يكون مطّلعاً لله عَزَّوَجَلَّ، وممتثلاً لأمره

---

(١) شرعة الله للأنبياء، ص٥٣٩؛ موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد ملوح، دار الوسيلة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م (٥/ ١٩٠١-١٩٤٤)؛ الموسوعة الفقهية الميسرة (١/ ٨٥٥).

(٢) فبهداهم اقتده، ص٢٨٢.

(٣) الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص٢٥٩.

من أجل تحقيق العبوديّة لله عَزَّوَجَلَّ، وذلك من خلال محبّته لله، وتحقيقه للتقوى والإيمان، فينتج عن ذلك انشراح للصدر، وتفريج للهمّ، وسعة في الحياة، وراحة في البال[١].

١- شروط الدعاء:

ينبغي للمسلم أن يتعلّم شروط الدعاء وآدابه، وأن يتفقّه في أحكامه مستخرجًا تلك الشروط والآداب، والفقه المتعلّق بالدعاء من أدعية الأنبياء والمرسلين التي جاءت في القرآن الكريم، ومن هدي سيّد الأوّلين والآخرين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فمن شروط الدعاء:

أ- أن يكون عالمًا بأنّه لا يقدر على حاجته إلّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنّ من عداه في قبضته ومسخّر بتسخيره عَزَّوَجَلَّ، فلا يسأل إلّا اللهَ، ولا يستعين إلّا بالله عَزَّوَجَلَّ[٢].

وهذا الشرط جليّ في قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ب- ألَّا يكون المسؤول بالدعاء ممتنعًا عقلاً ولا عادة، كإحياء الموتى، ورؤية الله في الدنيا، ولا يدعو بما هو مستحيل كالخلود في الدنيا، وقد علم أنّ الله كتب على عباده الفناء، واستأثر سبحانه بالبقاء، فهذا كلّه من الاعتداء المنهيّ عنه في الدعاء.

جـ- ألَّا يدعو بإثم.

---

(١) المضامين التربوية في قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وتطبيقاتها المعاصرة، ياسر إبراهيم رشاد، جامعة اليرموك، ٢٠٢٠م، ص٥٥.

(٢) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، محمد بن أحمد المقدم، دار الخلفاء الراشدين، ٢٠٠٠م، ص١٥٣.

د- ألّا يكون له فيما سأل غرض فاسد، كسؤال المال والجاه والولد والعافية للتفاخر والاستكثار والاستعانة بها على قضاء شهواته.

هـ- ألَّا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة يفوّتها، فيكون عاصياً.

و- ألَّا يستعجل ولا يضجر من تأخّر الإجابة.

ز- أن يدعو بلسان الذلّة والافتقار.

حـ- أن يدعو الله بأسمائه الحسنى[1]، كما فعل أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٢- آداب الدعاء، منها:

- تقديم التوبة ورد المظالم.

- الإخلاص لله تعالى، والتأدّب والخشوع، والمسكنة والخضوع والبكاء.

- تجنّب الحرام مأكلاً ومشرباً، والتعفّف عن الشبهات.

- أن يدعو على طهارة كاملة، ويستاك ويتطيّب.

- أن يستقبل القبلة.

- أن يقدّم عملاً صالحاً قبل دعائه كتلاوة القرآن، أو صدقة أو صيام، أو صلاة، أو إحسان إلى يتيم، أو تفريج كربة معسر، أو قضاء حاجة أخيه المسلم.

- أن يراعي خفض الصوت ولا يجهر جهراً شديداً.

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٥.

– أن يستفتح بحمد الله تعالى، ويُثني عليه بما هو أهله، ثمّ يثني بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجتهد في إحسان ذلك والإكثار منه في أوّل الدعاء، وأوسطه وآخره، فإنّها الجناح الذي يصعد به خالص الدعاء إلى عنان السماء.

– أن يُظهر الافتقار والذلّة والانكسار لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويشكو إليه ضعفه وضيقه وبلاءه.

– أن يختم الدعاء باسم من أسمائه سبحانه الحسنى، ممّا يناسب المطلوب ويقتضيه.

– أن يستعمل في كلّ مقام الدعاء المأثور فيه، فهو أفضل من غيره؛ لتنصيص الشارع عليه. والأولى أن يقتصر على المأثور، فما كلّ أحد يُحسن الدعاء، فيُخاف عليه الاعتداء.

– ألّا يتحجّر رحمة الله الواسعة في دعائه؛ لحديث الأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد حجّرت واسعاً.

– أن يتحرّى جوامع الأدعية، ويدع ما سوى ذلك.

تشريك الإخوان المؤمنين في الدعاء، ولا سيما إذا كان الداعي إماماً أو جماعة، ودلّ على التعميم في الدعاء قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

إذا أعظمت حاجته، لم يسألها الله تعالى سؤال مُستعظم لها في ذات الله عَزَّوَجَلَّ بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالاً واحداً، وينبغي أن يرى منّة الله عليه في إجابته إلى صغير الحوائج وكبيرها، قال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وعن

أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيَسْأَلْ أحدُكم ربَّه حاجتَه كُلَّها، حتى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إذ انْقَطَعَ»(١). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»(٢).

– أن يدعو بعزم وجدّ ورغبة واجتهاد، وليعظّم الرغبة، ويجزم بالطلب دون تعليقه بالمشيئة، ويُصدّق رجاءه، ويوقن بالإجابة، ولا يمنعه حسن الظنّ بالله في إجابة دعائه ما يعلمه من نفسه من التقصير، فإنّه يدعو كريمًا.

– أن يلزم الدعاء في كلّ حال.

الدعاء استنجاح فينبغي أن يتحرّى أوقات النجاح، ويتحرّى الأوقات والأحوال والمواطن المرجو بها الإجابة.

٣- أوقات الإجابة منها:

- في السجود.
- بعد الصلاة على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهّد الأخير.
- دُبر الصلوات المكتوبات.
- عند شرب ماء زمزم.
- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر.
- عند التأمين في الصلاة.

---

(١) الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، ص١٥٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

- عند قراءة الفاتحة في الصلاة، واستحضار ما فيها من المعاني.
- عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند إقامة الصلاة.
- ليلة القدر.
- ساعة من كلّ ليلة.
- جوف الليل الآخر، ونصفه الثاني، وثلثه الأوّل، وثلثه الأخير، ووقت السحر.
- يوم الأربعاء بين صلاتي الظهر والعصر.
- يوم عرفة من السنة، ورمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع، وفي آخر ساعة بعد العصر إذا جلس ينتظر صلاة المغرب.
- عند نزول المطر.
- عند التحام الحرب مع الكفّار[1].
- بعد أن تزول الشمس قبل الظهر.

هذه أهمّ الأوقات في إجابة الدعاء.

٤- من يُستجاب دعاؤهم، منهم:

- دعاء الرجل المسلم المستجمع لشروط الدعاء.
- المضطّر والمظلوم مطلقًا، ولو كان كافراً أو فاجراً.
- الإمام العادل.

---

(١) المصدر السابق، ص١٦١.

- الوالد لولده.
- الولد البارّ بوالديه.
- الصائم.
- المسافر.
- الذاكر الله كثيراً.
- دعوة المسلم لأخيه في ظهر الغيب[١].
- الحاجّ والمعتمر، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحُجَّاجُ والعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ، دَعاهُمْ فأجابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فأَعْطَاهُمْ»[٢].
- مَن استيقظ مِن الليل فقال حين يستيقظ: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»، ثمّ قال: «اللهم اغفر لي»، أو دعا[٣].

من دعا بدعوة ذي النون ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧][٤].

ومن الكتب النافعة في فقه الدعاء (الأوراد المأثورة من الكتاب والسنّة) لمحمّد أحمد بن إسماعيل المقدّم.

---

(١) المصدر السابق، ص١٦٣.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

إنّ الدعاء من أنواع العبادات، وعنوان من عناوين العبوديّة لله عَزَّوَجَلَّ، كما أنّ الدعاء والاستجابة كلّ ذلك فضل من الله تعالى بأن يسمح لك بندائه، ورفع حاجتك إليه في كلّ شأن وفي كلّ حين، كما أنّ الأنبياء أسوة للعابدين في أمورهم كلّها، وفي الدعاء.

إنّ من الدروس المهمّة:

- أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذج الصبر، ونموذج الإجابة، إجابة الدعاء، ومضاعفة العطاء في الأبناء.
- عطاء الله كلّه عظيم، والعظيم يهب على قدر كرمه وعظمته وجوده.
- بعد الابتلاءات في النوازل، تتنزّل مدهشات الحوافل، لتكون ذكريات للمنازل والقوافل، ولكلّ ظاعن وراجل.
- الذين انقطعوا عن الله وعبادته خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين[1].
- إنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يَرُدُّ القدرَ إلا الدعاءُ»[2].

– وقد تحقّق مضمون الدعاء بأبعاده المتنوّعة في قصّة أيّوب من خلال:

- شدّة التضرّع وعمق الاستغاثة، وأدب النداء.
- إظهار الانكسار، والتذلّل والخضوع، والافتقار والتواضع لله عَزَّوَجَلَّ.

توسّل أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأسماء الله الحسنى وصفاته، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

---

(١) تفسير سورة الأنبياء، ص٤١٨.

(٢) سنن الترمذي، رقم ٢١٣٩.

المبحث الثالث

ذكر أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة ص

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [سورة ص: ٤١، ٤٤].

ص هي سورة مكيّة، وهي كباقي السور المكيّة التي تعالج أصول العقيدة الإسلاميّة، ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالقرآن المعجِز، المنزّل على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المشتمل على المواعظ البليغة، والأخبار العجيبة، على أنّ القرآن حقّ، وأنّ سيّدنا محمّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيّ مرسَل.

ثمّ تحدّثت عن الوحدانيّة، وإنكار المشركين لوحدانية الله عَزَّوَجَلَّ، ومبالغتهم في العجب من دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى توحيد الله: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [سورة ص: ٥].

وانتقلت السورة لضرب الأمثال لكفّار مكّة بمن سبقهم من الطغاة المتجبّرين الذين أسرفوا بالتكذيب والضلال، وما حلّ بهم من العذاب والنكال بسبب إفسادهم وإجرامهم، ثمّ تناولت قصص بعض الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، تسلية للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمّا يلقاه من كفّار مكّة من الاستهزاء والتكذيب، وتخفيفاً لآلامه وأحزانه، فذكرت قصّة نبيّ الله داوود وولده سليمان عليهما الصلاة والسلام الذين جمعوا بين النبوّة والمُلك، وما نال كلّ منهما من الفتنة والابتلاء، ثمّ أعقبتها بذكر فتنة أيّوب، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، وذا الكفل عليهم الصلاة والسلام، هكذا في عرض سريع لبيان سُنّة الله تعالى في ابتلاء أنبيائه وأصفيائه، وأشارت

السورة الكريمة إلى دلائل القدرة والوحدانيّة في هذا الكون المنظور، وما فيه من بدائع الصنعة، للتنبيه على أنّ هذا الكون لم يُخلق عبثًا، وأنّه لا بدّ من دار ثانية يجازى فيها المحسن والمسيء، وختمت السورة الكريمة ببيان وظيفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومهمّته الأساسيّة التي هي مهمّة الرسُل الكرام، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام[١].

وإليك تفسير الآيات الكريمة:

أوّلاً: قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١].

١ - ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [سورة ص: ٤١]:

- ﴿وَٱذْكُرْ﴾؛ فالخطاب هنا للنبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتّى يستأنس بذكر من سبقوه من إخوانه المرسلين الذين حملوا الأمانة وتحمّلوا في سبيلها الآلام، وصاروا مضرب المثل في الصبر والتقوى[٢]، ويدخل في هذا الخطاب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلّ مسلم من بعده، والهدف من ذكر وتذكّر قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الاقتداء به في موقفه من الابتلاء بالضرّاء، والاستفادة من ذلك في مزيد من الإقبال على الله[٣].

- ﴿وَٱذْكُرْ﴾ أي: بالحمد والثناء[٤]، في هذا الكتاب ذي الذكر[٥].

---

(١) مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، ص٢٢٣.
(٢) وقفات في حياة الأنبياء، خالد عبد العليم، دار ابن كثير، ٢٠١٤م، ص١٤٦.
(٣) القصص القرآني، الخالدي (٤/ ١٧).
(٤) تفسير الشعراوي (٢١/ ١١٩٥٢).
(٥) تفسير السعدي، ص٩٥٨.

- ﴿عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾؛ بأحسن الذكر، وأثنِ عليه بأحسن الثناء، حين أصابه الضرّ فصبر على ضرّه، فلم يشتكِ لغير ربّه، ولا لجأ إلّا إليه[١].

ولقد مدح الله تعالى أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿عَبْدَنَآ﴾، وهذا تنويه بشأن العبوديّة، وأنّها تعني التضرّع والخضوع والإنابة، والخشية والرضا بأقدار الله تعالى، فهذا هو العبد حقّـًا، تراه راضيـًا بحكم ربّه، شاكراً لنعمه، صابراً على بلائه، يحمده في السرّاء والضرّاء، ولا يفتر عن ذكره في منشط أو مكره، ولا في صحّ أو مرض[٢].

وإن الوصف بالعبوديّة في قوله تعالى: ﴿عَبْدَنَآ﴾ شرف، لأنّه دلّ على إعزاز الربوبيّة لدرجة العبوديّة، لأنّ وصف العبوديّة لله تعالى وصف محبوب، وكلمة محمودة، لأنّ غاية حرّيّة العبد في تحقيق عبوديّته لربّه، ولأنّه يأخذ الخيرات والبركات من سيّده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولقد امتنّ الله تعالى على سيّدنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حادثة الإسراء والمعراج، وجعل حيثيّة ذلك العبوديّة له سبحانه فقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، فلمّا ضاقت به حفاوة الأرض بالطائف أراد أن يريه حفاوة السماء به، فالصفة التي رفعت نبيّنا محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه المنزلة هي صفة إخلاصه في العبوديّة لربّه[٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) وقفات في حياة الأنبياء، ص١٤٧.

(٣) تفسير الشعراوي (٢١/ ١٢٩٥).

كان أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ صادق العبوديّة لله، ولذلك أثنى الله عليه حيث وصفه بالعبوديّة، وجاء ذلك في بداية الآيات: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾، وفي آخر الآيات: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠].

وقد وصفه بالعبوديّة في سياق الحديث عن الابتلاء، وهو ما يدلّ على أنّ من حِكمة اِبتلاء الله لعباده بالبأساء والضرّاء، هي تعميق عبوديّتهم له، فالمؤمن المُبتلَى بالضرّ يزداد عبوديّةً لله وخضوعاً له، وعندما يصبر ويحتسب ويُقبِل على الله داعياً، منيباً، متضرّعاً، خاشعاً، وإنّ الله يحبّ العبد اللحوح في الدعاء[١].

٢- ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [سورة ص: ٤١]:

بدل من (أيّوب)، لأنّ زمن ندائه ربَّه ممّا تشتمل عليه أحوال أيّوب، وخصّ هذا الحال بالذكر من بين أحواله لأنّه مظهر توكّله على الله، واِستجابة الله دعاءه بكشف الضرّ عنه[٢].

- ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾؛ داعياً، وإليه لا إلى غيره، شاكياً[٣].

والدعاء هو ملجأ المضطرّين، وهو مظهر العبوديّة التي في القلب لله ربّ العالمين، وكان النداء لربّه مبلغ جهد أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرفع كفّ الضراعة، وكان على يقين من الإجابة، ولذلك ما أتمّ دعاءه حتّى استجاب الله له، وكشف عنه الضرّ، وعافاه في جسده، وردّ إليه أهله وماله، ومدحه وأثنى عليه، فذهب الألم وبقي الأجر والمثوبة[٤].

---

(١) القصص القرآني، الخالدي (٤/ ١٨).
(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٥١٧).
(٣) تفسير السعدي، ص٩٥٩.
(٤) وقفات في حياة الأنبياء، ص١٥٠.

٣- ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١]:

- ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾؛ المسّ: هو الالتقاء الهيّن الخفيف، يعني هو دون اللمس، قال العلماء: لأنّه مرض مرضاً شديداً أثّر في إهابه، فكان الشيطان يحوم حوله بخواطر السوء ويقول له: كيف يفعل الله بك هذا وأنت رسول؟ كيف يتركك هكذا دون أن يشفيك؟ وهكذا اجتمع على سيّدنا أيّوب ألم الجسد وعذابه الجسديّ، وهواجس الشيطان في خواطره النفسيّة، لذلك قال: ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: "النُّصب: الضرّ الذي أصابه في جسده، والعذاب: ذهاب المال والأهل، حيث حمل النصب على الضرّ الذي أصابه في جسده، والذي سبّب له التعب، والمشقّة، والإعياء، والمرض، والأذى، والألم.

وأمّا العذاب: فهو الابتلاء الذي صبّه الله على ماله وأهله، حيث أهلك الله ماله"[(١)].

ونسب أيّوب ما مسّه من نُصب وعذاب إلى الشيطان، فهذا من أدبه مع الله عَزَّوَجَلَّ، وإلّا فإنّ الله هو الذي قدّر أن يبتليه ويوقع به الضرّ، ويصيبه النصب والعذاب، لأنّ الله هو الذي يفعل ما يشاء، ويوقع بعباده ما يشاء، وكلّ ما يصيبهم من ضرّ أو نفع، وخير أو شرّ، فهو من الله في الحقيقة، لأنّ الأمور كلّها بيده، الخلق خلقه، والأمر أمره، والفعل فعله سبحانه[(٢)].

أ- المصائب بين كسب الإنسان وإرادة الله:

ما يصيب الناسَ من ضرّ أو مصيبة فبسبب أفعالهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

(١) القصص القرآني (٤/ ١٩).

(٢) المصدر السابق نفسه.

إنّ أفعالهم سبب مادّيّ ظاهري لما يصيبهم، أمّا المسبِّب والمقدِّر والمريد فهو الله سبحانه، فما يصيب العباد منسوب إليهم كسبًا وسعيًا، ومنسوب إلى الله خلقًا وإرادة، وقد جمع القرآن بين هاتين النسبتين: نسبة الضرّ والسيّئة إلى الله وإلى الناس، فقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٨، ٧٩].

ومع تأكيد هذه الحقيقة الإيمانيّة عند المؤمنين إلّا أنّهم لا ينسبون الضرّ والشرّ إلى الله أدبًا مع الله[(١)].

ب- أدب الأنبياء مع الله:

إنّ الأمر كلّه بيد الله جَلَّ وَعَلَا، خلق الخير وخلق الشرّ، بل رأس الشرّ الشيطان، والذي خلقه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو النافع والضارّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن هذا الكلام من أيّوب صلوات الله وسلامه عليه جاء من باب الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا، كما جاء في دعاء النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والخيرُ كلُّه في يدَيْكَ والشَّرُّ ليس إليكَ»[(٢)]، أي: لا يُنسب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله جَلَّ وَعَلَا عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ولم يقل: وإذا أمرضني، مع أنّ الذي أمرضه هو الله، والذي شفاه هو الله، ولكنّه أدبًا مع الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٢٠).

(٢) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، رقم ٧٧١؛ فبهداهم اقتده، ص٢٨٣.

وقال يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]، فصرّح أنّ الشيطان هو الذي أنساه الحوت[١].

جـ- لا سلطان للشيطان على أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

على هذا الأساس ينبغي أن نفهم نسبة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إيقاع الضرِّ به إلى الشيطان ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١]، حيث فعل هذا أدبـًا مع الله، وإلّا فإنّ الضرّ والنَّصب قد أصابه بأمر الله وقدره سبحانه، ابتلاءً واختباراً له عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢].

إنّ إبليس عليه اللعنة لا يكلّ ولا يملّ في السعي لإضلال بني آدم، مستخدمـًا كلّ ما أوتي من قوّة التأثير المباشرة وغير المباشرة بالوسوسة والإغراء والإغواء، باحثـًا عن نقطة ضعف الإنسان حتّى يصل إلى هدفه، وعندما وجد أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ صابراً راضيـًا بقضاء الله وقدره، غير شاكٍ ولا متذمّر، موقنـًا أنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه يئس منه إبليس اللعين، فأخذ يوسوس لخلصائه وأتباعه القلّة القلائل الذين بقوا على وفائهم وإخلاصهم له، ومنهم زوجة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكانوا يحدّثونه بما وسوس الشيطان لهم، فيؤذيه في نفسه أشدّ ممّا يؤذيه الضرّ والبلاء، فلمّا حدّثته امرأته ببعض هذه الوسوسة حلف لئن شفاه الله ليضربنّها عدداً عيّنه، قيل: مائة، وأمام هذا البلاء النفسيّ والجسديّ لجأ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليكشف عنه الضرّ والسوء[٣].

---

(١) القصص القرآني (٤/ ٢٠).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، عروة حسين طربية، ص٨٦.

إنّ الشيطان لم يكن له تأثير على أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن يُنزِل مرضاً أو سقماً به، فهذا محال، وإن هذا هو قدر الله وحده، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وإن هذه هي الحقيقة، فإنّه لا سلطان للشيطان على أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه نبيّ كريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعصم الله أنبياءه من الشيطان، فلم يجعل له سلطان عليهم[١]. وقد ذكر الزمخشريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: "كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهية والجزع والقنوط من رحمة الله"[٢].

ونحذّر في هذا المقام من أكاذيب (سِفر أيّوب) في العهد القديم، التي سجّلها أحبار اليهود الكفّار، مؤلّفو أسفار العهد القديم، والتي زعموا فيها أنّ الشيطان طلب من الله أن يسلّطه على أيّوب، فسلّطه عليه، فأهلك أهله، وأباد أمواله، وقضى بالمرض على جسده، فشكا وضعه إلى الله.

وقد ردّ كثير من المفسّرين هذه الأكاذيب في تفاسيرهم، وفسّروا بها قوله: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١]، ولا يجوز أن يفسَّر كلام الله بهذه الإسرائيليّات المكذوبة المفتراة[٣].

د- تفسير الشيخ طاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ للآية الكريمة:

- قوله تعالى: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١]؛ وظاهر إسناد المسّ بالنصب والعذاب إلى الشيطان أنّ الشيطان مسّ أيّوب بهما، أي: أصابه بهما

(١) القصص القرآني (٤/ ٢٠).
(٢) تفسير الكشاف (٣/ ١٣٠).
(٣) القصص القرآني (٤/ ٢١).

حقيقة مع أنّ النصب والعذاب هما الماسّان أيّوب، ففي سورة الأنبياء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فأسند المسّ إلى الضر، والضرّ هو النصب والعذاب، وتردّدت أفهام المفسّرين في معنى إسناد المسّ بالنصب والعذاب إلى الشيطان، فإنّ الشيطان لا تأثير له في بني آدم بغير الوسوسة كما هو مقرّر في آيات القرآن، وليس النصب والعذاب من الوسوسة ولا من آثارها، وتأوّلوا ذلك على أقوال تتجاوز العشرة، وفي أكثرها سماجة، وكلّها مبنيّ على حملهم الباء في قوله: ﴿بِنُصْبٍ﴾ على أنّها باء التعدية لتعدية فعل ﴿مَسَّنِيَ﴾، أو باء الآلة مثل: ضربه بالعصا، أو يؤول النصب والعذاب إلى معنى المفعول الثاني من باب أعطى.

وإن الوجه عندي: أن تُحمل الباء على معنى السببيّة بجعل النُّصب والعذاب مسبَّبين لمسّ الشيطان إيّاه، أي: مسّني بوسواس، سببه نُصب وعذاب، فجعل الشيطان يوسوس إلى أيّوب بتعظيم النُّصب والعذاب عنده، ويلقي إليه أنّه لم يكن مستحقّاً لذلك العذاب ليلقي في نفس أيّوب سوء الظنّ بالله، أو السخط من ذلك، أو تُحمَل الباء على المصاحبة، أي: مسّني بوسوسة مصاحبةٍ لضرّ وعذاب، ففي قول أيّوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، كناية لطيفة عن طلبِ لطف الله به، ورُفِع النُّصب والعذاب عنه بأنّهما صارا مدخلاً للشيطان إلى نفسه، فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وتنوين ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ للتعظيم أو للنوعيّة، وعُـدِل عن تعريفهما لأنّهما معلومان لله[1].

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٥١٩).

هـ- وسائل الشيطان وأساليبه في التأثير على الإنسان:

وردت في كتاب الله ألفاظ عدّة تحدّثت عن أساليب الشيطان في إغواء الإنسان وإضلاله، وفي هذه الفقرة بيان أساليبه في إغواء الإنسان:

- **الوسوسة:**

في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠].

والوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس، وهو صوت الحُليّ والهمس الخفيّ[١].

- **الاستحواذ:**

قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ [المجادلة: ١٩].

استحوذ: استاقهم مستوليًا عليهم[٢]. وقيل: استحوذ عليهم الشيطان أي: غلب واستعلى، أي بوسوسته في الدنيا[٣].

- **النزغ:**

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

- النزغ: دخول في أمر لإفساده[٤].

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، عروة حسين، ص٤٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة تزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م، ص٢٦٢.

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٥).

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص٧٩٨.

وقال الطبريّ: "وإمّا يغضبنّك من الشيطان غضب يصدّك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم، فاستعن بالله، فاستجر بالله من نزغه إنّه سميع عليم"(١).

• **التسويل:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٥].

والتسويل: تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن(٢).

وعند أبي السعود: أي: سهَّل لهم ركوب العظائم، من السَّوَل وهو الاسترخاء، وقيل من السول المخفّف من السؤال لاستمرار القلب، فمعنى سوّل له أمراً حينئذ أوقعه في أمنيته.

• **الإملاء:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٥].

أملى: أي: أمهل(٣).

• **الإلقاء:**

هو الإملاء والتعليم، ألقى إليه القول: أبلغه إيّاه وعلّمه(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الفكر، ١٩٧٩م (٣/ ١١٨)؛ حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٢.

(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٢؛ المفردات في غريب القرآن، ص٧٧٧.

(٤) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٣.

• **الإضلال:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠].

الضلال: الحيرة والعدول عن الحقّ والطريق[١].

• **الطائف:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وهو الذي يدور على الإنسان من الشيطان يريد اقتناصه[٢].

• **التزيين:**

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٨].

التزيين: التحسين المدرَك بالحسّ دون المدرك بالعقل[٣].

• **الاِستزلال:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

الزلّة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، أي: استجرّهم الشيطان حتّى زلّوا[٤].

• **الاستفزاز:**

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه؛ المفردات في غريب القرآن، ص٥٣١.

(٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٧م (٧/ ٣٨٧).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٤)؛ حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، ص٤٤.

استفزّ: أي: أزعج.

وعند الطبريّ: استحقّ واستجهل[١].

• **الاستهواء:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١].

وفي تفسير المنار: استهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله[٢].

• **المسّ:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

المسّ: يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى[٣]. كقوله تعالى: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وكقوله تعالى: ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [سورة ص: ٤١].

• **التخبّط:**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

الخبط: الضرب على غير استواء[٤].

ونجد هناك علاقة بين المسّ والخبط، المسّ: الجنون، والخبط: أوّل الجنون، ومعناه: أن يحشر يوم القيامة كمثل المصروع[٥].

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، ص٤٥؛ تفسير الطبري (١٧/ ٤٩٠).

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار النوادر للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م (٧/ ٤٣٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٢٧١).

(٤) حقيقة تأثير الشيطان على الإنسان، ص٤٦.

(٥) المصدر السابق نفسه؛ تفسير القرآن تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن للنشر، ٢٠٠٨م (١/ ٢٧٩).

● **الإغواء:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص: ٨٢].

والغيّ: الضلال والخيبة[١].

والغيّ: إذا ضلّ في معتقد أو رأي[٢].

● **الإنساء:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إمّا لضعف قلبه، وإمّا عن غفلة، وإمّا عن قصد حتّى ينحذف عن القلب ذكره[٣].

وعرّفه الزمخشري بالشغل، فقال في تفسيره للآية: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأنعام: ٦٨] وإن شغلك بوسوسته حتّى تنسى[٤].

● **الاحتناك:**

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] أي: لأستأصلنّهم بالإضلال، ولأغوينّهم[٥].

---

(١) لسان العرب، محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت (١٥/ ١٤٠)؛ حقيقة تأثير لشيطان على الأنبياء، ص٤٧.

(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٩)؛ حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص٨٠٣.

(٤) الكشاف (٢/ ٣٤).

(٥) تفسير السعدي، ص٥٩٨.

وعند الشعراويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لأتعهّدنّهم بالإضلال والغواية[١].

• **الاستمتاع:**

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]

- ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: تمتّع كلّ من الجنّيّ والإنسيّ بصاحبه وانتفع به؛ فالجنّيّ يستمتع بطاعة الإنسيّ له، وعبادته، وتعظيمه، واستعاذته به، والإنسيّ يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدمة الجنّيّ له بعض شهواته، فإنّ الإنسيّ يعبد الجنّيّ، فيخدمه الجنّيّ ويحصّل له بعض الحوائج الدنيويّة، أي: حصل منّا من الذنوب ما حصل ولا يمكن ردّ ذلك[٢].

• **التنزّل:**

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١].

التنزّل: النزول في مهلة[٣]، أي: تلقى وساوسها[٤]، وعند القرطبيّ: أكثر ما تكون في الهواء، وأنّها تمرّ في الرّيح[٥].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٦١٤).
(٢) تفسير السعدي، ص٣٢٩.
(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، ٢٠١٧م، ص٣٠٨.
(٤) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ٢٠١٩م (١٠/ ٤٥٤).
(٥) تفسير القرطبي (١٣/ ١٤٥).

• **النجوى:**

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠].

والنجوى: تقال للحديث الذي تفرّد به اثنان فصاعداً، أو للقوم المتناجين[(١)].

- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾؛ أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين بالمكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان الذي كيده ضعيف[(٢)].

• **الهَمْز:**

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

أي: أعوذ بك من الشرّ الذي يصيبني بسبب مباشرتهم، وهمزهم، ومسّهم، ومن الشرّ الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه استعاذة من مادّة الشرّ كلّه وأصله، ويدخل فيه الاستعاذة من جميع نزغات الشياطين، ومن مسّه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشرّ وأجاب دعاءه؛ سلم من كلّ شرّ، ووُفِّق لكلّ خير[(٣)]؟

• **العمل على التمنّي:**

في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، ويمنّيهم بالمواعيد الكاذبة، يلقيها في نفوسهم، تجعلهم يتمنَّون، أي: يقدِّرون غير الواقع واقعـًا، إغراقـًا في الخيال،

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، دار الوطن للنشر، ٢٠٠٨م (٤/ ١٤٨).

(٢) تفسير السعدي، ص١١٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص٧٣٦.

ليستعين بذلك على تهوين انتشار الضلالات بينهم، يقال منّاه إذا وعده المواعيد الباطلة وأطمعه في وقوع ما يحبُّه ممّا لا يقع[١].

• **الصدّ:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]. والصدّ: الصرف والمنع. يقال: صدّه عن الشيء، أي منعه عنه[٢].

• **التخويف:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أي: إنّ ترهيب من رهب من المشركين، وقال إنّهم: ﴿جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣] داعٍ من دعاة الشيطان، يخوّف به أولياءه الذين عُدِم إيمانهم أو ضعف، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإنّ نواصيهم بيد الله، لا يتصرّفون إلّا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخاضعين له المستجيبين لدعوته. وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنّه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود ما حجز العبد عن محارم الله[٣].

---

(١) مفردات القرآن من كتاب التحرير والتنوير، فايز بن سياف السريح، دار القلم (١/ ٥٦٢)

(٢) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٦م (١/ ٢٥٨).

(٣) تفسير السعدي، ص١٦٩.

● **الأزّ:**

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

أي: تغريهم إغراء[١]، وهذا من عقوبة الكافرين: أنّهم لمّا لم يعتصموا بالله ولم يتمسّكوا بحبل الله، بل أشركوا به ووالوا أعداءه من الشياطين، سلّطهم عليهم وقيّضهم، فجعلت الشياطين تؤزُّهم إلى المعاصي أزّاً، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجًا، فيوسوسون لهم، ويوحون إليهم، ويزيّنون لهم الباطل، ويقبّحون لهم الحقّ، فيدخل حبّ الباطل في قلوبهم ويتشرَّبها، فيسعى فيه سعي المحقِّ في حقّه، فينصره بجهده، ويحارب عنه، ويجاهد أهل الحقّ في سبيل الباطل، وهذا كلّه جزاء له على تولّيه من وليّه وتولِّيه لعدوّه؛ جعل له عليه سلطانًا وإلّا؛ فلو آمن بالله وتوكّل عليه لم يكن له عليه سلطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠][٢].

● **الخذلان:**

من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]. والخذلان: يواليه حتّى يؤدّيه إلى الهلاك ثمّ يتركه ولا ينفعه[٣]، وعند الراغب: ترك من يظنّ به أن ينصر نصرته[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٢٥٢).

(٢) تفسير السعدي، ص٦٥٢.

(٣) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٩.

(٤) الكليات معجم من المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م، ص٤٣٧؛ المفردات في غريب القرآن، ص٢٧٧.

• **الإيقاع:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

والإيقاع: الإسقاط[١]، أي: يعمل على إسقاط المؤمنين في مستنقع العداوة والبغضاء من خلال الخمر والميسر، ويصدّهم عن ذكر الله وعن الصلاة.

ويقول عروة حسين طربية صاحب كتاب (حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بعدما انتهى من فقرة: وسائل الشيطان وأساليبه في التأثير في الإنسان: "بعد استعراض الألفاظ نجد أنّ الرابط المتين الذي يجمع هذه الألفاظ من حيث الدلالة والصلة بين بعضها بعضًا هو أنّ الشيطان الرجيم يستخدم ما أوتي من قوّة الفتنة والقدرة على الإغواء، والتزيين، والإضلال لإيقاع الناس في حباله وشراكه لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] دلالة على قوّة الصدّ وإبعادهم عن المقصد من خلْقهم، وهو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وعبادته، وسلطانه يكون على الذين يتولَّونه، ولا سلطان له على عباده المخلصين[٢].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٤٢، ٤٣].

تفسير الآيات الكريمة:

١- قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [سورة ص: ٤٢]:

---

(١) حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، ص٤٩.

(٢) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ص٥/ ٣.

– (الركض)؛ الضرب في الأرض بالرجل، فضرب أيّوب ببقايا قوّة رجله الناحلةَ الهزيلة على الأرض، فإذ بالمعجزة تتفجّر تحتها ماء[١].

وفي القرآن ضربات بسببها نبع الماء بأمر الله، من ذلك ضربة أيّوب هذه ﴿ٱرۡكُضۡ﴾: نبع الماء.

الثانية: لمّا ضرب موسى الحجر، فتفجّر منه اثنتا عشرة عيناً.

الثالثة: وردت في السنّة في قصّة هاجر وإسماعيل عندما ضرب جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعقبه أو بجناحه مكان زمزم، فنبع الماء بضربه من جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢].

وفي الأمر الإلهيّ لأيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ تعليم الأمّة احترام الأخذ بالأسباب، ومراعاة سنن الله في كونه[٣].

إنّ من سنن الله في كونه، وشرعه تحتم علينا الأخذ بالأسباب، كما فعل ذلك أقوى الناس إيماناً بقضائه وقدره، وهو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قاوم الفقر بالعمل، وقاوم الجهل بالعلم، وقاوم المرض بالعلاج، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد، وكان يستعيذ بالله من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، وتعاطي أسباب الأكل والشرب، وادّخر لأهله قوت سنة، ولم ينتظر أن ينزل عليه الرزق من السماء[٤]، وقال للذي سأله: أيعقل ناقته أم يتركها ويتوكّل؟ قال: «اعقلها وتوكّل»[٥].

---

(١) في ظلال الأنبياء، محمد حمد الصوياني، شركة العبيكان للتعليم، ط١، ٢٠٢٢م، ص٢١٤.

(٢) أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، ص٣٥٤.

(٣) حياة الأنبياء، ص١٥١.

(٤) سنة الله في الأخذ بالأسباب، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٦م، د. علي محمد الصلابي، ص١٠.

(٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب=

وإن القرآن الكريم حافل بالآيات التي توجب على المسلمين الأخذ بالأسباب في شتّى مناحي الحياة، والعمل على استقصاء تلك الأسباب للوصول إلى المراد، خاصّة في تلك المواقف الصعبة التي تواجه الأمم والأفراد[١].

- ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾؛ إرشاد ربّانيّ في الأخذ بسنّة الأخذ بالأسباب.

- ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾؛ لم يقل: فركض فخرج الماء كذا وكذا، إنّما انطوى هذا كلّه، واكتفى بالأمر ﴿ٱرۡكُضۡ﴾.

والمعنى: إنّ في هذا الماء مغتسلاً لك وشرابـًا، لأنّ المرض الذي أصاب سيّدنا أيّوب يبدو أنّه كان مرضـًا جلديّـًا يترك على بشرته بُثُوراً تشوّه جلده. والآن نرى الأطباء الذين يعالجون الأمراض الجلديّة يعالجونها بالمراهم الظاهريّة التي تعالج ظاهر المرض، لكن لا تتغلغل إلى علاج سبب المرض الداخليّ، فكان من رحمة الله بسيّدنا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن جعل شفاءه الظاهريّ والباطنيّ في ركضة واحدة تخرج الماء، فيغتسل منه مُغتسلاً بارداً يشفى ظاهر مرضه، وشراب يشفي أسباب المرض في داخل جسمه[٢].

قاوم أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ضعفه، وحاول الجلوس حتّى اعتدل، بعدما ركض برجله، ثمّ مدّ يديه المرتجفتين إلى الماء وغرف غرفة، وغسل وجهه، فإذا بالمعجزة تسري في كلّ قطرة تنساب على جلده الرقيق، والانتعاش يسري في كلّ عضو يغسله،

= الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، إسناد صحيح.

(١) سنة الله في الأخذ بالأسباب، ص١٣.

(٢) تفسير الشعراوي (٢١/ ١٢٩٥٤).

غرف بيده وشرب[١] واغتسل وذهب عنه كلّ داء بباطنه وظاهره بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اضرب الأرض برجلك، فامتثل للأمر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأنبع الله عيناً، وأمره أن يغتسل منها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذي كان في جسده، ثمّ أمره فضرب الأرض في مكان آخر، فأنبع له عيناً أخرى، وأمره أن يشرب منها، فأذهبت ما كان في باطنه من السوء، وتكاملت العافية ظاهراً وباطناً"[٣].

كانت امرأة أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غائبة عنه لقضاء حوائجه من طعام وشراب وأدوات للعناية به، فعندما رجعت، ورأته لم تعرفه لما فيه من قوّة ونشاط وحيويّة، وصحّة وعافية، فقالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبيّ الله هذا المبتلَى، فوالله على ذلك ما رأيت أحداً أشبه به منك إذا كان صحيحاً؟ قال: "فإنّي أنا هو"[٤]، فلا شكّ أنّها أجهشت من البكاء من شدّة الفرح، وحمدت الله عَزَّوَجَلَّ وشكرته على شفاء زوجها الحبيب العزيز.

- ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾؛ ويؤخذ من الآية الكريمة: التداوي، لأنّ الله تعالى أمره أن يشرب ويغتسل من الماء الذي نبع تحت رجليه، وكان بإمكانه

(١) في ظلال الأنبياء، محمد الصوياني، ص٢١٤.

(٢) أنباء الأنبياء، ص٣٥٦.

(٣) تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، حققه يوسف علي بديوي، حسن سويدان، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م (٧/ ٧٤).

(٤) دراسات من القرآن الكريم (٣/ ٢١٩).

تعالى أن يشفيه دون أن يدعوه لاتّخاذ هذه الوسيلة[١]، وكلّ شيء له سبب[٢].

وقد بيّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنّ لكلّ داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ»[٣].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أنزل الله داء إلّا أنزل له شفاء»[٤].

إنّ كلا الحديثين الشريفين دلالة على أنّه ما من داء إلّا وقد جعل الله له دواء، وإذا كان الأمر كذلك فإنّه يشرع للإنسان أن يستعمل الدواء الذي عرف تأثيره في الداء بالعادة والتجربة[٥].

وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه كأنّما على رؤوسهم الطير، فسلّمت ثمّ قعدت، فجاء الأعراب من ههنا ومن ههنا فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «تداووا، فإنّ الله تعالى لم يضع داء إلّا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»[٦].

إنّ هؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سألوا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجوازه، وندبهم إليه بقوله: «تداووا»، وهذا اللفظ عام[٧]، وبيّن العلماء أنّ علوم الطبّ من فروض الكفاية،

---

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف طبارة، ص٢١٣.
(٢) دعاء الأنبياء والرسل، محمد محمود أحمد، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٩م، ص١٧٨.
(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠).
(٤) رواه البخاري (٤/ ٨).
(٥) أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد مختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، ١٩٩٤م، ص٨٦.
(٦) سنن الترمذي، حديث حسن صحيح (٣/ ٢٥٨).
(٧) أحكام الجراحة الطبية، محمد الشنقيطي، ص٨٧.

قال الإمام النوويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وأمّا العلوم العقليّة، فمنها ما هو فرض كفاية، كالطبّ، والحساب المحتاج إليه"(١).

إنّ علم الطبّ من العلوم المهمّة في الحياة البشريّة، وبتطبيقه يتحقّق كثير من المصالح العظيمة، والمنافع الجليلة، التي منها حفظ الصحّة، ودفع ضرر الأسقام والأمراض عن بدن الإنسان، فيتقوّى المسلم على طاعة ربّه تعالى ومرضاته(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٤٣].

ثمّ بيّن سبحانه أنّه بفضله وكرمه لم يكتفِ بمنح أيّوب الشفاءَ من مرضه، بل أضاف إلى ذلك أن وهب له الأهلَ والولد(٣).

أ- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [سورة ص: ٤٣]:

قال الشيخ متولّي شعراويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يبدو أنّ بعض أهله بعدوا عنه لمَّا أَصابه المرض، فلمّا شفاه الله، وعاد إلى حال السلامة عادوا إليه، ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ يعني وهبنا له مثل أهله، أي: من الذرّيّة والأتباع"(٤).

وتقول بعض الروايات: إنّ الله أحيا له أبناءه ووهب له مثلهم، وليس في النصّ ما يحتّم أنّه أحيا له من مات، وقد يكون معناه أنّه بعودته إلى الصحّة والعافية قد

---

(١) المصدر السابق، ص٧٤.

(٢) الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ٢٠١٣م، ص٣٨٤.

(٣) القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٠٥م، ص٧١٠.

(٤) تفسير الشعراوي (٢١/ ١٢٩٥٥).

استردّ أهله الذين كانوا بالنسبة إليه كالمفقودين، وأنّه رزقه بغيرهم زيادة في الإنعام والحمة والرعاية، ممّا يصلح ذكرى لذوي العقول والإدراك[١].

- وقال الدكتور فضل حسن عبّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [سورة ص: ٤٣] أي: هدينا أهله فآمنوا به، واستجابوا لدعوته، وهدينا لهم مثلهم من غير أهله، فالهبة هنا: هي الهداية والإرشاد، لا هبة الخلق، لأنّ ما يهتمّ به الأنبياء هو أن يهدي الله بهم لا أن يولد لهم"[٢].

- وقال عمرو الشاعر: "ولمّا شُفي وهب الله له أهله وآخرين، وليس معنى ذلك أنّ أهله كانوا قد ماتوا فأحياهم الله له، بل آمنوا به، يعني أنّهم آمنوا به مع غيرهم، رحمة من الله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، ولا يعني هذا أنّ هارون أُحيي لموسى أو ما شابه ذلك"[٣].

- وقال الدكتور محمّد بكر إسماعيل: "وهبة الأهل ومثلهم معهم في العدد لا يكون إلّا بأن يتزوّج أيّوب بنساء كثيرات فينجب من الأولاد ضعف العدد الذي مات، لا أنّ الله أحياهم له بعد موتهم كما يقول القصاص، فهذا أمر لم يُنصّ عليه في الآية.

ولفظ الهبة يدلّ على أنّ الموهوب شيء لم يكن بيد الموهوب له من قبل، فهو لفظ يستعمل في المنح المتجدّد، كما قال جلّ شأنه: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]"[٤].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٥٠٣٢).

(٢) في قصص القرآن الكريم، ص٦٧٦.

(٣) قصص القرآن قراءة قرآنية، عمرو الشاعر، مكتبة النافذة، ص٢٧٩.

(٤) قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص٣١٥.

وعن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "ردّ اللهُ على امرأته شبابَها حتّى ولدت له ستّة وعشرين ولداً ذكراً"[١].

- الذهب الذي أفاضه الله على أيّوب وهو يغتسل:

روى البخاريّ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بينما أيّوب يغتسل عريانـًا خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيّوب يحشي في ثوبه، فناداه ربُّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا أيّوب: ألم أكن أغنيتك عمّا ترى؟ قال: بلى، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[٢].

وروى أحمد والحاكم والطيالسيّ هذا الحديث بلفظ آخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لمّا عافى الله أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أمطر عليه جراداً من ذهب، فجعل يأخذ منه بيده ويجعل في ثوبه، فقال له: يا أيّوب: أما تشبع؟[٣] قال: يا ربّ: ومن يشبع من رحمتك»[٤].

يُخبرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنّ الله عوّض أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ماله الذي هلك أثناء ابتلائه، ويبدو أنّ هذا كان فور اغتساله بالماء البارد، فلمّا اغتسل بالماء البارد ثمّ شرب منه عافاه الله، وبينما كان يغتسل عُريانـًا، ليس عنده أحد، أمطر الله عليه جراداً من ذهب[٥].

---

(١) فتح الباري على شرح صحيح البخاري (٧/ ٢٣٢).

(٢) البخاري، رقم ٢٧٩؛ الأحاديث الصحيحة، رقم ١٧٠.

(٣) القصص القرآني (٤/ ٢٥).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م (٢/ ٣٠٤).

(٥) مستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م (٢/ ٥٨٢).

- معنى الحديث وبعض دلالاته:

وكان هذا الجراد من الذهب كثيراً، سمّاه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية أخرى عند البخاريّ: رِجْل جراد، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بينما أيّوب يغتسل عُريانًا خرّ عليه رِجْل جَراد من ذهب»[١].

وشاء الله الحكيم أن يرزقه الذهب على صورة جراد، وصبَّ عليه الجراد من الذهب صبّاً أثناء اغتساله، وأمطره عليه، فكأنّ هذا الذهب كان مطراً غزيراً نازلاً عليه، وكان هذا معجزةً من الله سبحانه.

فلمّا رأى أيّوب هذا الذهب مصبوبًا عليه تناول ثوبه الذي وضعه بجانبه أثناء الاغتسال، وصار يجمع الذهب بكلتي يديه، ويحشوه، ويضعه في ثوبه[٢].

فعجب الله من صنيعه وناداه: يا أيّوب: ألم أكن أغنيتك عمّا ترى؟

أي أنّ الله أغناه بما وهبه من رزق، فلمَ يجمع الذهب بثوبه؟

فقال أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: بلى، لقد أغنيتني، ولكن لا غنى لي عن بركتك؟

أي: أنّ هذا الذهب بركة منك يا ربّ، وبركة الله لا غنى عنها، فهي تُبارك مال من كانت عنده، فأيّوب ليس في حاجة إلى الذهب، وهو زاهد في متاع الدنيا، لأنّ الأنبياء هم أئمّة الزاهدين، وجمعه للذهب بثوبه طلب للبركة، وليس سداداً لحاجة.

وفي الرواية الثانية: أنّ الله لمّا عجب من فعله قال له: يا أيّوب، أما تشبع؟

فقال أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ربّ ومن يشبع من رحمتك؟

---

(١) البخاري، رقم ٧٤٩٣.

(٢) القصص القرآني (٤/ ٢٦).

ولقد اعتبر هذا الذهب من مظاهر رحمة الله، ورحمة الله لا يشبع منها مؤمن، فجمعه للذهب بثوبه ليس بسبب نهمه، بل للتقلّب برحمة الله[١].

وهذا التصرّف من أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ دليل على أنّه يجوز للمؤمن أن يجمع المال وأن يستكثر منه، وأن يحتفظ به، بشرط أن يأتيه من مصدر حلال، وأن لا تستشرفه نفسه، ولا يملأ عليه تفكيره، وأن يخرج حقّ الله فيه.

ويُعتبر هذا المال بركة من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يستغني أحد عن بركة الله، ورحمة من الله، ولا يشبع أحد من رحمة الله، ويقتدى في ذلك بأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهكذا كشف الله عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الضرّ، وآتاه أهله ومثلهم معهم، وعوّضه ماله الذي هلك، وآتاه خيراً منه، وأمطر عليه ذهبًا على شكل جراد، وبذلك ولّت عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ محنتُه، ورحمه الله بالرخاء والسرّاء، وكما صبر في الضرّاء فقد شكر في السرّاء[٢].

ومن الفوائد المستنبطة من هذا الحديث:

- أنّ من نُثِر عليه دراهم ونحوها في أملاك أو نحوه؛ كان أحقّ بما تنزّل عليه إن شاء أخذها لنفسه، وإن شاء جعلها لغيره[٣].

- إباحة التعرّي في الخلوة للغسل وغيره، بحيث يأمن أعين الناس[٤].

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٢٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أحاديث الصحيحين المنتقدة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنطي، مبرة الآل والأصحاب، ط١، ٢٠١٥م، ص٤٦٢.

(٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري، علي بن خلف القرطبي، مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م (١/ ٣٩٣).

- جـواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حـقّ من وثـق من نفسه بالشكر عليه[١].

- تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة.

- فضل الغنيّ الشاكر[٢].

- لا يحكم على الإنسان بالشره وحبّ الدنيا بمجرّد أخذه له وإقباله عليها، بل ذلك يختلف باختلاف المقاصد، وإنّما الأعمال بالنيّات[٣].

- جواز استكثار الغنيّ من الغنى بنيّة الإنفاق[٤].

- إذا رأى المؤمن فضل الله نازلاً عليه، فلا يقطع تناوله ما دام نازلاً، ويكون ناويـًا بذلك ألّا يشبع من رحمة الله، كما قال أيّوب، فإنّ الله سبحانه لا يحبّ من عبده أن يردّ عليه فضله[٥].

ب- ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [يس: ٤٤]:

أي: به على صبره وثباته وإنابته، وتواضعه واستكانته[٦]، وكلّ ذلك فعله سبحانه على سبيل التفضّل والرحمة، لا على سبيل اللزوم والوجوب[٧].

---

(١) أحاديث الصحيحين المنتقدة على الأنبياء، ص٤٦٣.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق، ص٤٦٤.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) تفسير ابن كثير (٧/ ٧٥).
(٧) التفسير الموضوعي، طهماز (٧/ ٢١٦).

والآية الكريمة صوّرت رحمةَ الله وفضلَه على عباده الذين يبتليهم فيصبرون على بلائه وترضى نفوسهم بقضائه[١].

جـ- ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٤٣]:

الذكرى: هي الخاطر الذي يمرّ بك ليصرفك إلى متعلّق الذكرى؛ لأنّك بصدد ما يبعدك عن سبب الذكرى، ومضمون الذكرى هنا أنّه لمّا صبر جاءه الفرج من الله، فعاد جسمه معافىً سليمـًا بعد أن برئ من المرض ومن أسبابه، ثمّ عاد عليه أهله بزيادة مثلهم عليهم رفقـًا بعواطفه، وهذا هو المراد بالرحمة في قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ، فهذه عطاءات متعدّدة جاءت ثمرةً ونتيجةً لصبره عَلَيْهِ السَّلَامُ ورضائه بما قضى الله به.

إذن: الذكرى التي نذكرها في هذه القصّة أنّ الإنسان حين ينزل به الكرب يلجأ إلى الله ويفزع إليه في كربه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، والله يحبّ من عبده هذا اللجوء لذلك يبتليه[٢].

- ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ هم الذين يأخذون من كلّ قشر لبابَه، ويطلبون من ظاهر الحديث سـرَّه[٣]، واللّبيب: هو العاقل[٤]. والمعنى، أنّ الهبة كانت رحمةً له، وليتفكّر أولو العقول بحالة أيّوب ويعتبروا، فيعلموا أنّ من صبر على الضرّ فالله تعالى يثيبه ثوابـًا عاجلاً وآجلاً، ويستجيب دعاه إذا دعاه[٥].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٢٢).
(٢) تفسير الشعراوي (٢١/ ١٢٥٩٥٥).
(٣) التعريفات، ص٣٥.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، طبعة الكويت، ط٢، ٢٠٠٦م (٤/ ١٤).
(٥) تفسير السعدي، ص٩٥٩.

يقول الزجّاج: "إذا ابتُلي اللبيب ذكَر بلاء أيّوب فصبر"[١].

وهذه القصّة وُصِفت في سورة (الأنبياء) بأنّها ذكرى للعابدين، ووُصِفت في سورة (ص) بأنّها ذكرى لأولي الألباب، لبيان أنّ العابدين هم أولو الألباب، لأنّهم عرفوا الله فعبدوه، واستمرّوا في عبادته وطاعته، مخلصين له الدين[٢].

والألباب: جمع لبّ، واللّبّ: هو العقل، وجمعه ألباب[٣]، وهو أيضاً خالص كلّ شيء، والعقل الخالص من الشوائب، أو ما ذكا من العقل، فكلُّ لبٍّ عقلٌ ولا يعكس[٤].

واللّبّ: هو الدائرة الواقعة في عمق مركز التفكير، وهو مركز استقرار المعرفة العلميّة، ومركز التذكّر، ومركز الاعتبار والاتّعاظ والذكرى، وعنه تصدر النتائج الفكريّة إلى الفؤاد والقلب والصدر، لتحريك العواطف، وتنبيه الإرادة صاحبة السلطان في توجيه السلوك[٥].

وقد ورد ذكر (الألباب) في القرآن الكريم في ستّة عشر موضعاً[٦].

ومن خلال التأمل الفاحص للنصوص القرآنيّة التي ورد فيها ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يمكننا أن نتبيّن صفاتهم ومزاياهم والتي منها:

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، عالم الكتب، ٢٠٠٧م (٤/ ٣٣٥).

(٢) صحيح قصص القرآن، حامد أحمد البسيوني، ص٢١٧.

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي، مكتبة لبنان، ٢٠١٧م، ص٥٨٩.

(٤) المنجد في اللغة، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، ٢٠٠٩م، ص٧٠٩.

(٥) الأخلاق الإسلامية وأسسها، حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م (١/ ٣٢١).

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة بريل، ٢٠٢٤م، ص٦٤٤.

- فهم أهل الحكمة في الصرف والسلوك، وذلك الخير الكثير، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] أي: وما ينتفع بالموعظة والتذكرة إلّا من له لبّ وعقل يعي به الخطاب ومعنى الكلام.

- هم أهل رسوخ في العلم، وأهل فهم، وتعقل وتدبّر في المعاني على وجهها[1]، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

- هم الذين يعرفون ما أُنزل إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحقّ، فقد نوّر بصائرهم، وطمس أبصار وبصائر المعرضين، حيث قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

- ذكر الله سبحانه بعضًا من صفات أولي الألباب في الآيات التي بعدها، ومنها: أنّهم يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق، وأنهم يصبرون، ويؤدّون الفرائض وغيرها، ختم ذلك بالجائزة العظيمة، حيث قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

- هم الذين فهموا وعقلوا وتذكّروا البلاغ الربّانيّ: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

---

(١) الحواس الإنسانية في القرآن الكريم، محمد طالب مدلول، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ص٢٢٧.

- هم أصحاب العقول السليمة الذين يتدبّرون القرآن المجيد، ويعملون بموجبه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩].

- هم الذين يعرفون الفرق بين الجاهل والعالم، ذلك أنّ هؤلاء لا يستوون أبداً في قياسات العقلاء، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

- هم الذين يسخّرون حواسهم لما فيه الخير، وأنّ أدبهم رفيع، فهم يستمعون القول فيأخذون منه ما ينفعهم، ويتّبعون أحسنه، وهذا من توفيق الله وهدايته لأولي الألباب، حيث قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

- هم الذين يتزوّدون بالتقوى وكلّ فضيلة ليوم الآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- أولو الألباب هم أصحاب العقول الصحيحة، فهم يميّزون بين الخبيث والطيّب، والحرام والحلال، والحقّ والباطل، ولا يغترّون بميزان القوى المادّيّ، وشعارهم تقوى الله ومخافته، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

- وأولو الألباب يطبّقون حدود الله وشريعته، فيقتصّون من القاتل ليرتدع كلّ ما تسوّل له نفسه الاعتداء على الآخرين، ذلك أنّ مصيره القتل فيفكّر في نفسه قبل الاعتداء على غيره، فتنهزه عن ذلك الفعل، وفي ذلك كان القصاص حياة

النفوس لتستمرّ الحياة الهانئة الآمنة[1]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

- وصفة أخرى لأولي الألباب هي أنّهم يتفكّرون في مخلوقات الله والكون والوجود كلّه ليصلوا من خلال الاستنباط إلى خالقها وموجدها من العدم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

فالتفكّر عمليّة ووظيفة عقليّة تصل من خلالها إلى حقائق يقينيّة، ولهذا قال تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، أي: العقول التامّة الزكيّة التي تُدرِك الأشياء بحقائقها على جليّاتها.

- ومن صفات أولي الألباب أنّهم يتّعظون ويعتبرون من قصص الأمم السابقة وأحوالهم من أنبيائهم ورسله، ويحيلونها إلى تجارب ودروس يستفيدون منها، فهم يتفكّرون ويتدبّرون ويتذكّرون، وذلك هو العقل العامل الخالص من الشوائب، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

- إنّ أولي الألباب هم أصحاب العقول المؤمنة الصافية، والفطرة المستقيمة التي تتّقي الله وتطيعه فيما أمر، وتنتهي عمّا نهى وزجر، ولا تتّبع الهوى، وتحكّم القرآن في حياتها الذي سمّاه الله تعالى ذكراً، حيث قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠]. وهذه أهمّ صفاتهم ومزاياهم التي ذُكرت في القرآن الكريم.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٦.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤].

تفسير الآية الكريمة:

١ - ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص: ٤٤]:

ذُكر أنّ أيّوب حلف ليضربنَّ امرأته مائة سوط لأنّها باعت ضفائرها أو تأخّرت عليه يومًا، فحلف ليضربنّها[١]. وقيل: إن الشيطان جاءها، فقال لها: إن شفيتُ لك أيّوب هل تقولين إنّي شفيته؟ فقالت: أسأل أيّوب، فسألتْه، فحلف ليضربنّها. يعني بذلك: كيف تقبلين مثل هذا الكلام، والشافي هو الله جَلَّ وَعَلَا. وأيًّا كان فالله أعلم بالسبب الذي من أجله حلف أيّوب، وهذه كلّها روايات من الإسرائيليّات[٢]، ولكن الآية الكريمة:

أ- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص: ٤٤]:

تبيّن أنّ الله أمر أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأخذ هذا الغصن الذي عليه مجموعة من الفروع والأوراق، وأن يضرب به الشخص الذي حلف أن يضربه، وذلك لئلّا يحنث في يمينه.

وهذا يدلّ على أن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد حلف أثناء مرضه وابتلائه أن يضرب أحد الأشخاص بشيء لسبب ما، فلمّا عافاه الله دعاه إلى أن يبرّ بيمينه، وأن يضرب الشخص المحلوف عليه بذلك الضغث من الشجر.

---

(١) القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، أسامة عبد العظيم، دار الفتح، ٢٠٠٩م، ص١٣٥؛ في صحبة الرسل الكرام، السيد عبد المقصود، دار البشير للثقافة والنشر، ٢٠٠٠م، ص١٣٧.

(٢) فبهداهم اقتده، ص٢٨٥.

ولم تبيّن الآيةُ الشخصَ الذي حلف عليه، هل هو امرأته أم غيرها، كما لم تبيّن درجة قرابة هذا الشخص له، ولم تذكر السبب الذي دعا أيّوب إلى أن يحلف أن يضربه، ولا ماذا كان نصُّ يمينه، ولمّا حلّله الله من يمينه لم تبيّن الآية كيف ضرب بذلك الضغث.

وقد ذكر المفسّرون أقوالاً في ذلك، وحاولوا أن يقدّموا فيها إجابات على الأسئلة السابقة[١]. ومن أعدل هذه الأقوال: أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد غضب على زوجته، ووجد في أمر فعلته، وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنّها مائة جلدة، فلمّا شفاه الله عَزَّوَجَلَّ وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامّة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، فأفتاه الله عَزَّوَجَلَّ أن يأخذ ﴿ضِغْثًا﴾[٢].

- والضغث: قيل: هي أعواد النخيل، يعني الجريد أو السعف الجاف، وقيل: هو الحشيش الذي يبس، جمع مائة عود[٣]. وقيل: هو حزمة من شماريخ البلح[٤].

ب- ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص: ٤٤]:

ولا تحنث في يمينك[٥]، فيتحلّل من قسمه ويبرّ بيمينه، وهذا مخرج لمن اتّقى الله وأطاعه، ورحمة به وبزوجه التي قامت على رعايته، وصبرت على ابتلاءاته[٦].

---

(١) القصص القرآني (٤/ ٢٩).

(٢) الأنبياء في القرآن قصص وعبر، هدى جعفر، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م، ص٣٤٩.

(٣) فبهداهم اقتده، ص٢٨٥.

(٤) تفسير الشعراوي (٢١/ ١٢٩٥٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/ ١٦٦-١٦٧).

(٦) أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم، ص٢٥٧.

لقد كانت امرأة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثالاً للمرأة الصالحة المخلصة لزوجها، فإنّها لم تتخلّ عنه سنوات محنته، وكانت تخدمه وتعاونه في شؤونه، وتحمّلت مرضه، وأحسنت إليه[١].

لقد لازمته هذه الزوجة الكريمة ملازمة تامّة، وكانت الوحيدة التي حنت عليه طيلة ابتلائه، فقد كانت تقدّر حقّ الزوجيّة حقّ التقدير، وتقوم بواجبها خير قيام، إنّها تذوّقت معه السعادة في أيّام نعمته، وها تقف معه بكلّ جهدها عليه في أيّام ابتلائه، لقد أخذت تدبّر أمر المعيشة له ولها بكلّ وسيلة شريفة، حتّى اضطرّتْها الظروفُ في النهاية إلى أن تعمل عند ذوي النعمة، فخدمت بعد أن كانت مخدومة، وتردّدت على الأثرياء بعد أن كان قصرها يزدحم بالمتردّدين عليها، وكان الناس يشفقون عليها فيستخدمونها حتّى ولو لم كونوا في حاجة إلى خدمة، من أجل أن يعطوها القليل الذي يسدّ جوعَها وجوعَ زوجها.

ومع ذلك فإنّ أمرها وأمر زوجها لم ينتهِ إلى هذا الحدّ فحسب، فقد تردّدت إشاعة في جميع الأرجاء أنّ من يستخدم امرأة أيّوب ربما ناله من بلائه، وحلّ عليه من شقائه، وتردّدت على الأبواب فلم تُفتح الأبواب لها، وبحثت عن عمل فلم تجد، وطوت هي وزوجها اليوم، وباتا جائعَين، وفي جوارها القصور والنعيم، وبالقرب منها ذوو الثراء من الأقارب والأباعد، وفكّرت هذه السيّدة، وأطالت التفكير، فكّرت في أمر الخروج من هذا المأزق المفاجئ، ومن هذه الشدّة الجديدة، وكانت ذات شعر طويل جميل، فرأت وهي في محنتها أن لا حاجة لها بهذا الشعر، وماذا تصنع به وحياتها وحياة زوجها على أبواب النهاية؟[٢]

---

(١) الثمين في قصص الانبياء والمرسلين، زهير علي كاخي، دار المأمون للتراث، ٢٠٠٣م، ص٧٨.

(٢) قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء، ص١٧٠.

يقول الإمـام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "فلمّا لم تجد من يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتَيها بطعام طيّب كثير، فأتت به أيّوب فقال:

- من أين لك هذا؟ وأنكره.

- فقالت: خدمت به أناسـًا.

فلمّا كانت الغد لم تجد أيضـًا من يستخدمها؛ فباعت الضفيرة الأخرى بطعام، فأتته به، فأنكر أيضـًا وحلف لا يأكله حتّى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلمّا رأى رأسها محلوقـًا قال في دعائه لربّه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]"[(١)].

واستجاب الله للنداء، وهو الذي يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء، وعادت الحياة باسمة، فيها الثراء، وفيها النعمة، وفيها ذكريات للوفاء وللصبر، وشعور عامر برضوان من الله ومحبّة منه سبحانه[(٢)].

وأكرم الله أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الرخصة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص: ٤٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "كان من حلفه ليضربنّ امرأته مائة سوط، فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها، وقيل: لأنّه اعترضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواءً لأيّوب، فانتبه فأخبرته، فعرف أنّه الشيطان، فحلف ليضربنّها مائة سوط، فلمّا عافاه الله عَزَّوَجَلَّ أفتاه أن يأخذ ضغثـًا ويضربها به ضربة واحدة، ويكون هذا مُنزَّلاً منزلة الضرب بمائة سوط، ويبرّ ولا يحنث، وهذا من الفرَج والمخرج لمن اتّقى الله وأطاعه، ولا سيَّما في حقّ امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصدِّيقة البارّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا"[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٣١٧).

(٢) قصص الأنبياء في رحاب الكون مع الأنبياء، ص١٧٠ .أنبيا أايبيسشاتعلالا

(٣) البداية والنهاية (١/ ٣٢٠).

جـ- تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ للآية:

- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص: ٤٤]:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية: "وهذا له قصّة أخرى أشارت إليها الآية إجمالاً، ولم يرد في تعيينها أثرٌ صحيح، ومجملها أنّ زوجة أيّوب حاولت عملا ففسد عليه صبره من استعانة ببعض الناس على مواساته، فلمّا علم بذلك غضب وأقسم ليضربنّها عدداً من الضرب ثمّ ندم، وكان محبّاً لها، وكانت لائذة في مدّة مرضه، فلمّا سُرّي عنه أشفق على امرأته من ذلك، ولم يكن في دينهم كفّارة يمين، فأوحى الله إليه أن يضربها بحزمة فيها عدد من الأعواد بعدد الضربات التي أقسم عليها رفقاً بزوجه لأجله، وحفظاً ليمينه من حنثه، إذ لا يليق الحنث بمقام النبوّة، وليست هذه القضيّة ذات أثر في الغرض الذي سيقت لأجله قصّة أيّوب من الأسوة، وإنّما ذُكرت هنا تكملة لمظهر لطف الله بأيّوب جزاء على صبره.

ومعاني الآية ظاهرة في أنّ هذا الترخيص رفق بأيّوب، وأنّه لم يكن مثله معلوماً في الدين الذي يدين به أيّوب اتّقاء على تقواه، وإكراماً له لحبّه زوجته، ورفقاً بزوجه لبرِّها به، فهو رخصة لا محالة في حكم الحنث باليمين"[(١)].

فجاء علماؤنا ونظروا في الأصل المقرّر في المسألة المفروضة في أصول الفقه، وهي: أنّ شرع من قبلنا هل هو شرع لنا إذا حكاه القرآن أو السنّة الصحيحة، ولم يكن في شرعنا ما ينسخه من نصّ أو أصل من أصول الشريعة الإسلاميّة؟

فأمّا الذين لم يروا أنّ شرع من قبلنا شرع لنا، وهم أبو بكر الباقلّانيّ من المالكيّة وجمهور الشافعيّة وجميع الظاهريّة، فشأنهم في هذا ظاهر، وأمّا الذين أثبتوا أصل

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٥٢١).

الاقتداء بشرع من قبلنا بقيوده المذكورة، وهم مالك وأبو حنيفة والشافعيّ، فتخطَّوا للبحث في أنّ هذا الحكم الذي في هذه الآية هل يقرّر مثله في فقه الإسلام في الإفتاء في الأيمان، وهل يُتعدّى به إلى جعله أصلاً للقياس في كلّ ضرب يتعيّن في الشرع له عدد إذا قام في المضروب عذر يقتضي الترخيص بعد البناء على إثبات القياس على الرخص؟ وهل يتعدّى به إلى جعله أصلاً للقياس أيضـًا لإثبات أصل مماثل -وهو الحيل- بوجه شرعيّ للتخلّص من واجب تكليف شرعيّ؟

في الأيمان فقد كفانا الله التكليف بأن شرّع الله لنا كفّارات الأيمان، وقال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّي والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلّا كفّرت عن يميني وفعلت الذي هو خير»، فصار ما في شرعنا ناسخـًا لما شُرع لأيّوب، فلا حاجة إلى الخوض فيها، ومذهب الحنفيّة العمل بذلك استناداً لكونه شرعـًا لمن قبلنا هو قول الشافعيّة.

وقال مالك: "وهذه خاصّة بأيّوب، أفتى الله بها نبيّـًا".

وحكى القرطبيّ عن الشافعيّ: "أنّه خصّه بما إذا حلف ولم تكن له نيّة، كأنّه أخرجه مخرج أقلّ ما يصدق عليه لفظ الضرب والعدد".

وأمّا القياس على فتوى أيّوب في كلّ ضرب معيّن بعدد في غير اليمين، أي: في باب الحدود والتعزيرات، فهو تطوح في القياس لاختلاف الجنس بين الأصل والفرع، والاختلاف مقصد الشريعة من الكفّارات، ومقصدها من الحجود والتعزيرات، ولترتيب المفسدة على إهمال الحدود والتعزيرات دون الكفّارات، ولا شكّ أنّ مثل هذا التسامح في الحدود يفضي إلى إهمالها ومصيرها عبثـًا.

وما وقع في (سنن أبي داود) من حديث أبي أمامة عن بعض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصار: أنّ رجلاً منهم كان مريضـاً مضنىً، فدخلت عليه جارية، فهشّ لها، فوقع عليها، فاستفتوا له رسول الله وقالوا: لو حملناه إليك لتفسّخت عظامه، ما هو إلّا جلد على عظم، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة.

ورواه غير أبي داود بأسانيد مختلفة، وعبارات مختلفة، وما هي إلّا قصّة واحدة، فلا حجّة فيه لأنّه تطرّقته احتمالات:

- أوّلها: أنّ ذلك الرجل كان مريضـاً مُضنىً، لا يُقام الحدّ على مثله.

- ثانيـاً: لعلّ المرض قد أخلى بعقله إخلالاً أقدمه على الزنى، فكان المرض شبهة تدرأ الحدّ عنه.

- الثالث: أنّه خبر آحاد لا يُنقض به التواتر المعنويّ الثابت في إقامة الحدود.

- الرابع: حمله على الخصوصيّة، ومذهب الشافعيّ أنّه يعمل بذلك في الحدّ للضرورة، كالمرض، وهو غريب، لأنّ أحاديث النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقوال السلف متضافرة على أنّ المريض والحامل يُنتَظران في إقامة الحدّ عليهما حتّى يبرأ، ولم يأمر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن تُضرب الحامل بشماريخ.

وفي أحكام (الجصّاص) عن أبي حنيفة مثل ما للشافعيّ. وحكى الخطّابيّ: "أنّ أبا حنيفة ومالكـًا اتّفقا على أنّه لا حدّ إلّا الحدّ المعروف، فقد اختلف النقل عن أبي حنيفة"[1].

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٥٢٣).

وقال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطريفيّ: "ومن الفقهاء من حمل هذا على الحيَل المشروعة، ومنهم من لم يجعلها من الحيَل، وإنّما جعلها من حمل اليمين على الألفاظ ومقاصدها"[١].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]:

- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ﴾؛ فيما أصابه من بلاء وطلب الشفاء من الله تعالى، وتمنّ العافية لا يخلُّ بالصبر[٢].

وهذه الآية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، شهادة من الله لأيّوب بالصبر، لقد شهد الله تبارك لأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصبر على الابتلاء الذي ابتلاه الله، علمًا بأنّه كان ابتلاءً عامًّا في جسمه وولده وماله ولمدّة طويلة، وقد مرّ معنا صور هذا الابتلاء، ومدّته، وكيف كان يواجه أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الابتلاء[٣].

أ- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [سورة ص: ٤٤]:

- ﴿إِنَّا﴾؛ أي: إنّ الخطاب من الله الحاضر غير الغائب ذي المجد والعظمة والسلطان بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

- ﴿وَجَدْنَاهُ﴾؛ أنّه ظهر في صبره ما كان في علم الله منه[٤]. ﴿وَجَدْنَاهُ﴾ بصيغة الجمع للتفخيم.

---

(١) التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبد العزيز الطريفي، مكتبة دار المنهاج، ٢٠١٧م (٤/ ٢٠٢١).
(٢) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص٤٩٥.
(٣) المصدر السابق، ص١٤٣.
(٤) التحرير والتنوير (٩/ ٤٥٣).

- ﴿صَابِرًا﴾ [سورة ص: ٤٤]؛ الآية الكريمة تبيّن أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مدحه الله وأثنى عليه بهذا الوصف الربّاني العظيم، فصبره ممتد في طاعة الله بلا نهاية، لولا تدخّل القوّة الإلهيّة في لحظة عرض أيّوب لحاله على أرحم الراحمين(١).

إنّ ذكر قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم، وثناء الله عليه جعلته يشتهر عند الخاصّة والعامّة بالصبر الجميل، ولا يضارعه أحد من بني آدم، ولن يوجد صابر مثله في قابل الأيّام حتّى ضُرب به المثل في الصبر، فيُقال: صبرٌ كصبر أيّوب(٢)، فأيّوب إمام الصابرين(٣).

إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة كبيرة في تعلّم الصبر، والتدرّب عليه، وتعليمة لأولادنا وأسرنا ومجتمعاتنا وشعوبنا، حتّى نعتاده ويعتادوه(٤).

وإنّ الله عَزَّوَجَلَّ شهد لأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصبر، وجعله قدوة لنبيّه عَلَيْهِ السَّلَامُ وسائر الخلق، وفي الصلة بين قصّة أيّوب وأمر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على ما يلقاه من قومه، يقول الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: كأنّ الله تعالى قال: يا محمّد، اصبر على سفاهة قومك، فإنّه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ولا مالاً من داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيّوب، فتأمّل في أحوال هؤلاء لتعرف أنّ أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأنّ العاقل لا بدّ له من الصبر على المكاره(٥).

---

(١) الشخصيات القرآنية، د. نزيه محمد إعلاوي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩م، ص١٤٣.

(٢) الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، د. علي العريبي، دار ابن حزم، ٢٠١٤م، ص٧٦.

(٣) قصص الأنبياء، عمرو خالد، ص٤٣٥.

(٤) من أنباء القرى، د. أحمد الكبيسي، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٧م، ص٤٣٥.

(٥) أخلاق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، محمد درويش، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ص١٣٢؛ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ (٢٦/ ٢١٢).

إنّ من القيم العظيمة التي اهتمّ بها القرآن الكريم قيمة الصبر، فهو من أبرز الأخلاق القرآنيّة التي عني بها الذكر الحكيم في سوره المكيّة والمدنيّة، وهو أكثر خُلُق تكرّر في القرآن الكريم[١].

يقول الإمام الغزالي في كتاب (الصبر والشكر) من (ربع المنجيات) من كتابه إحياء علوم الدين: ذكر الله تعالى (الصبر) في القرآن في نيّف وسبعين موضعاً[٢].

ونقل العلّامة ابن القيّم في (مدارج السالكين) عن الإمام أحمد، وكذلك نقل أبو طالب المكّي في (قوت القلوب) عن بعض العلماء قوله: أيُّ شيء أفضلُ من الصبر، وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيّف وتسعين موضعاً؟ ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى هذا العدد إلّا الصبر[٣].

والناظر في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) يجد مادّة (ص ب ر) بكلّ مشتقّاتها، قد وردت في القرآن مائة مرّة وبضع مرّات.

ولا تُنافي في رأي الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ بين هذه التقديرات على اختلافها، وبين الإحصاء الرقمي للمعجم المفهرس، لأنّ الموضوع الواحد قد تذكر فيه مادّة (ص ب ر) أكثر من مرّة، فيحسبها بعضهم موضعاً واحداً، وبعضهم موضعين أو أكثر، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٦، ١٢٧].

---

(١) الصبر في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م، ص١١.

(٢) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام، أبو حامد محمد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ (٤/ ٦١)

(٣) قوت القلوب، أبو طالب المكي، ٢٠٠٦م (١/ ١٩٧).

فالمادّة هنا ذُكرت أربع مرّات في آيتين، بحيث يمكن أن تُحسب موضعًا واحداً، وأن تُحسب موضعَين باعتبارَين، وفي قصّة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف، تردّد ذكر الصبر عدّة مرّات ويمكن اعتبارها كلّها موضعًا واحداً.

والصبر في اللغة: الحبس والكف ومنه قتل فلان صبراً إذا أمسك وحُبس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ أي: احبس نفسك معهم.

ويُقابل الصبر: الجزع، كما في قوله تعالى على لسان أهل النار: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وهو في القرآن يعني: حبس النفس على ما تكره، ابتغاء مرضاة الله كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ [الرعد: ٢٢].

وقد تكلّم العلماء عن أنواع الصبر في القرآن الكريم، وضرورته:

- ضرورة المحن لأهل الإيمان.
- ضرورة الصبر لرسل الله عَزَّوَجَلَّ.
- أوامر الله لرسوله بالصبر.
- حكم الصبر.
- الباعث على الصبر: لم يكتف القرآن بالأمر بالصبر، والثناء على أهله، ونوط كلّ خير عاجل أو آجل به بل عني -إلى جوار ذلك- بالباعث على الصبر، والدافع إليه، فالصبر المحمود في القرآن هو ما كان لله تعالى، لا لكسب محمدة أو بطولة عند الناس.

ولهذا قال سبحانه لرسوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر: ٧]؛ أي: اجعل صبرك لربّك لا لأحد غيره، فالصبر هنا عبادة وقربة إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ.

– والمؤمن مأمور بالمصابرة مع الصبر[١].

– والصبر المحمود ما كان في أوانه.

والقرآن تكلّم عن مجالات الصبر، ومنها:

– الصبر على بلاء الدنيا، ولأيّوب النصيب الأكبر.

– الصبر على مشتهيات النفس.

– الصبر على طاعة الله، وهو من الأنبياء والمرسلين.

– الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله.

– الصبر حين البأس.

– الصبر في مجالات العلاقات الإنسانيّة.

وقد بيّن القرآن الكريم منزلة الصبر والصابرين، فالصبر مقام من أرفع مقامات الدين، وخلُق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجلّ منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شُعَب الإيمان، وعروة من أوثق عُرَى الإسلام، حتّى إنّ القرآن الكريم جعله مفتاحَ كلّ خير وبابَ كلّ سعادة في الدنيا والآخرة، والدليل على ذلك[٢]، عدّة أمور منها:

---

(١) الصبر في القرآن الكريم، القرضاوي، ص٢٧ إلى ٤٦.

(٢) المصدر السابق، ص٧٥.

- اقتران الصبر بالقيم الروحيّة العليا في الإسلام:

من ذلك أنّه قرن:

باليقين، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

والمراد باليقين -كما يقول الغزالي- المعارف القطعيّة الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين. والمراد بالصبر: العمل بمقتضى اليقين، إذ اليقين يعرّفه أنّ المعصية ضارّة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلّا بالصبر- وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل، فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار[1].

وبالشكر: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [ابراهيم: ٥].

وبالتوكّل: في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

وبالصلاة: كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وبالتسبيح والاستغفار: كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: ٤٨].

وبعمل الصالحات: كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٦٦).

وبالتقوى: كما في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وبالحق: كما في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وبالرحمة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧][(١)].

وقد نوّه القرآن الكريم بمكانة الصابرين، وموضعهم في أهل الإيمان، في مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

ولقد رتّب القرآن خيرات الدنيا والآخرة على الصبر، فالنجاح في الدنيا، والفلاح في الآخرة، والفوز بالجنّة والنجاة من النار، وكلّ خير يحرص عليه الفرد أو المجتمع، منوط بالصبر، من هذه الخيرات التي ذكرها القرآن[(٢)]:

معيّة الله تعالى للصابرين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

هي معيّة خاصّة تتضمّن الحفظ والرعاية والتأييد والحماية وليست معيّة العلم والإحاطة، لأنّ هذه معيّة عامّة لكّل الخلق: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤][(٣)].

---

(١) الصبر في القرآن، ص٨١.

(٢) المصدر السابق، ٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص٨٦.

محبّة الله لهم: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

إطلاق البشرى لهم بما لم يجمع لغيرهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فجمع لهم بين الصلوات، والرحمة، والاهتداء، وكان يقرؤها ويقول نِعمَ العدلان، ونعمت العلاوة للصابرين.

يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة.

وبالعلاوة: الهدى، والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير.

- إيجاد الجزاء لهم بأحسن أعمالهم:

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

- أجورهم بغير حساب:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

- ضمان النصرة والمدد لهم:

قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

• الحصول على درجة الإمامة في الدين:

نقل العلّامة ابن القيّم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

• الثناء عليهم بأنّهم أهل العزائم والرجولة:

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

• حفظهم من كيد الأعداء:

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠][1].

• استحقاقهم دخول الجنّة، وتسليم الملائكة عليهم:

قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

• انتفاعهم بعبر التاريخ واتّعاظهم بآيات الله في الأنفس والآفاق:

قال تعالى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

• وذكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه شخصيّات صابرة ذكرها في القرآن الكريم، وهذا من دلائل عنايته بفضيلة الصبر وحرصه على توجيه المسلمين للتحلّي بها، وتربيتهم

(١) المصدر السابق، ص٨٨.

على ممارستها خُلُقًا وسلوكًا، ما عرضه من خلال قصصه من شخصيّات تُعدّ أمثلة رائعة في التحلّي بالصبر في ألوانه المتعدّدة ومجالاته المتنوّعة[١]. ومن هذه الشخصيّات أو النماذج:

- أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد مرّ بنا قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [سورة ص: ٤١].

وفي هذه الآيات تكريم أيّ تكريم، وتشريف أيّ تشريف من الله تعالى لأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث بدأ القصر بخطاب رسوله محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول ﴿وَٱذْكُرْ﴾، وهذه العبارة تحمل معنى التخليد للمذكور بعدها في أعظم كتب الله، وجعله موضع الاقتداء والتأسّي فيما اختصّ به من فضله، لأعظم رسل الله، فهذه كما قال أبو طالب المكّي كلمة مباهاة: باهى أيّوب عند رسوله المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرّفه وفضّله بقوله: "واذكر يا محمد.." فأمره بذكره والاقتداء به كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وشرّف الله أيّوب مرّة أخرى بقوله: ﴿عَبْدَنَآ﴾ [سورة ص: ٤١] فأضافه إليه إضافة تخصيص وتقريب، ولم يدخل بينه وبينه لام الملك، فيقول عبداً لنا.

وشرّفه مرّة ثالثة حين استجاب له نداءه وردّ عليه عافيته، ووهب له أهله ومثلهم معهم، ورحمة منه وذكرى لأولي الألباب.

ومرّة رابعة حين جعل له مخرجًا من يمين حلفه على امرأته، وهو في مرضه تخليصًا له من مأزق الحنث وتكريمًا له على جميل صبره[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص٩٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وتوّج هذا كلّه بهذا التذييل الكريم بهذه العبارة:

- ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]؛ فهذا التذييل يحمل أسباب التشريف السابق وهو في ذاته تشريف جديد، في كلّ جملة من الجمل الثلاث، وحسبك أن يسجّل الله له فضيلة الصبر بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾، فوصل اسمه باسمه، ووصفه بالصبر فأظهر مكانه في القوّة والعزيمة[1].

وذكر الله في كتابه قصّة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد توسّعتُ في الحديث عنهم في كتابي (النبيّ الوزير يوسف الصديق من الابتلاء إلى التمكين).

وصبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذكرتُ قصّته في كتابي (إبراهيم خليل الرحمن داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة).

وصَبر أولو العزم من الرسل، وذكرتُ سيرتهم بالتفصيل في موسوعة: (نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام).

ومع مشقّة الصبر، وصعوبته على النفس، أشار القرآن إلى جملة أمور تُعِين على الصبر وتُهوِّنه على النفس منها:

- معرفة الإنسان الدنيا.
- اليقين بحسن الجزاء عند الله.
- اليقين بالفرج.
- الاستعانة بالله.
- الاقتداء بأهل الصبر والعزائم.

(١) المصدر السابق نفسه.

– الإيمان بقضاء الله وقدره.

– الحذر من الآفات العائقة عن الصبر، كالاستعجال، والغضب، وشدّة الحزن والضيق واليأس[١]. وهذه الأمور من المعوّقات عن الصبر.

ب– ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [سورة ص: ٤٤]:

– ﴿نِّعۡمَ﴾؛ فكلمة نعم فعل جامد معناه المدح والثناء[٢].

– ﴿ٱلۡعَبۡدُ﴾؛ فالله يمدح أيوبَ ويثني عليه بأنّه وصل إلى أرقى درجات الكمال الإنسانيّ وهي العبوديّة لله والإذعان له[٣]، فقد كمّل مراتب العبوديّة في حال السراء والضراء، والشدّة والرخاء[٤].

– ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾؛ وليس هناك أشرف من وصف الإنسان بالعبوديّة لله تعالى، فكيف بمن قيل فيه ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾؟[٥].

وهذا الوصف مشعر بتحقيق كمال العبوديّة بالاجتهاد في الطاعة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [سورة ص: ٤١]، هو تشريف لمنزلة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فجمع بذلك بين تكريمَين:

الأوّل: ذكره عَلَيْهِ السَّلَامُ بعنوان العبوديّة.

---

(١) المصدر السابق، ص١١٧ إلى ١٤١.
(٢) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص٤٩٦.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) الثناء في القرآن الكريم، هتون فلمبان، دار ابن حزم، ٢٠١٦م، ص٣٤١.
(٥) الصبر في القرآن، ص٩٥.

الثاني: وإضافته إلى ضمير التعظيم، وهذا تعظيم له عَلَيْهِ السَّلَامُ ورفع لمحلّه وقدره[١].

وقد أخلص أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في تحقيق عبوديّته لله عَزَّوَجَلَّ في أقواله، وأعماله الظاهرة والباطنة، وكان من أكمل العِباد تحقيقاً للعبوديّة؛ فعباد الله يرتقون في درجات العبوديّة بحسب نصحهم فيها، وسعيهم في تحقيقها، وأهل الكمال في ذلك سبقت لهم من الله الحسنى يتبوّؤون منها أرفعها، بما يزدادونه من معرفة ربّهم، وإقبالهم على مرضاته، تصديقاً لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]. فيزيدهم محبّة له، وتعظيماً لقدره جَلَّ وَعَلَا، فيكون أكمل الخلق وأفضلهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم وأتمّهم عبوديّة لله من هذا الوجه[٢].

وإنّه وجه كمال المعرفة، وكمال المحبّة، والتي هي أصل تحقيق العبوديّة، والمكمّلون لهذا هم عباد الله حقاً، وهم أولياؤه المتّقون، وعلى رأسهم أنبياء الله ورسله[٣]. فعبوديّتهم هي عبوديّة خاصّة الخاصّة التي لا يستطيع أحد أن يباريهم فيها[٤].

وإنّ الأنبياء والمرسلين عرفوا الله بالوحي، والفطرة السليمة، والعقل الراجح حقّ المعرفة، وعبدوه حقّ العبادة، وهم أشدّ الناس اجتهاداً في العبادة، لما امتنّ

---

(١) نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٩م، ص١١٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ٢٠٠٦م (١٠/ ٢١٠).

(٣) تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف الكردي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الحادي عشر، ١٤٢١هـ، ص٨٣.

(٤) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ابن عثيمين، دار العاصمة للنشر والتوزيع (١/ ٣٦).

عليهم من معرفته، وهم دائبون على شكره، معترفون له -مع تمام اجتهادهم- بالتقصير في أداء حقّه[١].

وقد وصفهم الله بالعبوديّة في مقام تكريم شأنهم، فقال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال عن محمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال في آخرين من الرسل: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [سورة ص: ٤٥]. وهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع عظيم قدرهم في تحقيق العبودية متفاوتون في المراتب، متفاضلون في الدرجات، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

فأعلاهم درجة أولو العزم من الرسل ثمّ باقي الرسل فالأنبياء[٢].

وأكمل أولو العزم خاتمهم وإمامهم رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي وصفه الله تعالى بكمال العبوديّة في مواطن كثيرة، وأمّا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أثنى عليه الله عَزَّوَجَلَّ في قوله ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠].

- ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ وشهد له أيضاً بأنّه أوّاب، وكلمة أوّاب على وزن فعّال، وصيغة فعّال من صيغ المبالغة، فهي تفيد شهادة الله لأيّوب بأنّه كثير الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإنابة والابتهال والعبادة[٣].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٢١).

(٢) تحقيق العبوديّة بمعرفة الأسماء والصفات، ص٨٥.

(٣) مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، ص٤٩٦.

- ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ أي: كثير الرجوع إلى الله في جميع الأمور، ومنيب إليه بالحبّ والطاعة، والخوف والرجاء، وكثرة التضرّع والدعاء، ورجّاع إلى الله تعالى، حريص على رضاه كثير الذكر له، تضرّع إليه بأدب، وسأله كشف الضرّ بلطف، لم يُبعده ابتلاء الله له بالضرّاء عن الله، بل زاده إقبالاً عليه واتصالاً به، ولم يُبعده ابتلاء الله بعد ذلك بالسراء عن الله، بل زاده إقبالاً عليه وصلة به. وصبر في حالة الضراء، لأنّه أوّاب، وشكر في السراء لأنّه أوّاب[١].

جـ- من الأفضل؛ الغنيّ الشاكر أم الفقير الصابر؟

سُئل سفيان عن عبدين ابتلى أحدهما فصبر، وأُنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء؛ لأنّ الله تعالى أثنى عن عبدين أحدهِما صابر، والآخر شاكر، ثناء واحداً، فقال في وصف أيّوب ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠]، وقال في وصف سليمان: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠][٢].

وقد رجّح ابن القيّم في كتاب عدّة الصابرين أنّ أفضلهما أتقاهما لله عَزَّوَجَلَّ[٣]. وإذا كان داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد وضعا في البناء المحكم لبنة الشكر، فإنّ اللبنة التي وضعها أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت لبنةَ الصبر، والشكرُ والصبرُ أساسان لا بدّ منهما في هذا البناء الإنسانيّ، ولهذا ذكَر هؤلاء الثلاثة في قوله: ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤] نسأل الله أن يمنّ علينا بالشكر والصبر[٤].

---

(١) القصص القرآني (٤/ ٢١٧).
(٢) صحيح قصص القرآن، حامد أحمد البسيوني، ص٢٧١.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص٦٧٦.

د- أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذج للنفس المطمئنّة:

إن النفس المطمئنّة هي التي تسكن إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واطمأنّت في طاعته ورضيت بشرعه ومنهجه، فغمرها الإيمان، فتشتاق إلى لقائه وركنت إليه، فهي تحبّ الخيرَ والحسناتِ وتبغض الشرَّ والسيّئاتِ، وتكره ذلك[١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان متوكّلاً على الله، ومؤمنًا بقضائه، وقدره، ومستسلمًا له في أحكامه الشرعيّة والقَدريّة، فلا قلق، ولا اضطراب، ولا غفلة، ولا إعراض عن الله، بل إقبال على الله، وصبر على الطاعة، وفي النكبة واليقين، بما عنده من الجزاء والرضا بما قدّره الله، فأصبح مثلاً لأصحاب الابتلاء في الصبر والاحتساب[٢]، وفي التضرّع والدعاء، وفي الفرج والرخاء[٣].

وإنّ البشريّة اليوم تعاني من الفقر الروحي والقلق والاضطراب والضنك الكبير في حياتها، وإنّ العلاج الوحيد لهذه الأمراض النفسيّة هو الرجوع إلى دين الله، ورسالته الخاتمة (الإسلام)، وهذا الطريق يكون بأن تسير على نهج الأنبياء والمرسلين، وتخرج من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهداية، وتسعد بتوحيدها لخالقها، وإفراده بالعبادة ونبذ كلّ صور الكفر والشرك والمعاصي والذنوب والخطايا.

إنّ قصّة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تبيّن لنا دروسًا وعبرًا وفوائدَ، منها:

- أنّ الصبر الجميل على البلاء فيه الفوز في الدنيا والآخرة.

---

(١) الدروس المستفادة من القصص القرآني، نصرة إبراهيم، دار عباد الرحمن، دار البشير، ص١٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٤١.

(٣) القصص القرآني (٤/ ٣٠).

- أنّ الله تعالى قد يبتلي من يحبّه من عباده ليزيد من علوّ مقامه ورفعة شأنه.

- أهميّة الدعاء، وكما قال ابن القيّم: الدعاء إذا سلم من الموانع من أنفع الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، فهو من أنفع الأدوية، وهو عدوّ البلاء؛ يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، أو يخففه إذا نزل، ولقد ظهر أثره في قول أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

- جمع أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الدعاء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربّه، ووجود طعم المحبّة في التوسل له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنّه أرحم الراحمين، والخضوع له بصفاته العُلا، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه[(١)].

- جمع الله للنبيّ أيّوب ثلاث صفات في آية واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤]؛ الصبر، والعبوديّة، وأوّاب[(٢)].

- فضل رعاية الزوجة لزوجها المبتلى، والصبر عليه.

- رحمة الله لعباده المؤمنين، فقد كانت امرأة أيّوب ضعيفة عن احتمال مائة ضربة، التي حلف أن يضربها إيّاها، وكانت كريمة على ربّها، فخفّض عنها برحمته، بأن أمَر أيّوبَ بجمع الضربات بالضِّغْث.

- الحثّ على حسن معاملة الزوجة، والرفق بها[(٣)].

---

(١) قصص القرآن، فؤاد سراج عبد الغفار، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) دور الأنبياء في بناء الحضارة الإنسانية، د. علي محمد سعيد، ص١٧٣.

(٣) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الأماجد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، (٢٨/ ٤٥٦).

رابعاً: أهمّ صفات وخصائص أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ووفاته:

إنّ حديث القرآن الكريم عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بيّن لنا أهمّ صفاته والتي منها:

- الصبر.
- المرحوم.
- الأوّاب.
- الموهوب.
- عبد الله.
- المنادى.
- المستجاب له.
- الصالح.
- الموحى إليه.
- المهدى.
- المحسن.

وقد تعرّض أخي وصديقي الدكتور عقيل حسن عقيل لشرح مفصّل، لهذه الصفات فمن أراد التوسّع فليرجع إلى كتابه (صفات الأنبياء من قصص القرآن؛ أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس)[1].

(١) صفات الأنبياء من قصص القرآن أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس، الدكتور عقيل حسن، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص١٣ إلى ٥٧.

ومن أهمّ خصائصه؛ النبوّة والرسالة، فهو يدخل في موكب الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وما تميّزوا به من صفات خاصّة بالرسل؛ كالصدّيق، والفطانة والتبليغ والعصمة، ومكارم الأخلاق، والكمال في الخلقة الظاهرة والسلامة من الأمراض المنفّرة، والحكمة من إرسال الرسل ووظائفهم وما تفرّدوا به من أمور سيأتي تفصيلها بإذن الله تعالى، وإليك التفصيل.

١- تعريف الرسُل وصفاتهم:

الرسول في اللغة: مشتق من الإرسال، وهو التوجيه، فالرسول الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، آخذاً من قوله جاءت الإبل رسلاً، أي: متتابعة. وسُمِّي الرسول رسولاً؛ لأنّه ذو رسالة.(١)

واسم الرسول: من أرسلتُ، وكذلك الرسالة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

والنبي: فعيل من النبأ مهموزاً، وأصله النبيء ترك الهمزة تخفيفاً، وهو بمعنى مُفْعِل ومُفْعَل فهو مُنْبِئ ومُنْبَأ، مُنْبِئ أي: مُخبرٌ من الله، قال تعالى: ﴿قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وقال: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

فالنبي هو الذي يُخبر من الله، وهو الذي يُخبر الناس، أي: يُبلّغهم أمرَ الله ونهيَه ووحيَه، وقد يكون لفظ (النبي) من التنبّؤ غير مهموز، وهو الرفعة والمكانة.

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، القرضاوي (٨/ ٣٦٧).

أ- تعريف الرسول اصطلاحاً:

والرسول في الاصطلاح: هو رجل اِصطفاه الله من البشر، واختصّه بالوحي، وأمره بتبليغه. وهذا التعريف يشمل الأنبياء أيضـاً، لأنّ لفظَي النبيّ والرسول إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا[١].

ب- هل يُنبّأ الأنبياء قبل سنّ الأربعين؟

يقول العلماء: الأنبياء لا يُنبؤون إلّا في سنّ الأربعين، ولكنّ هذا الغالب، ليس دائمـاً، لأنّ قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ومعنى (الفتى): صغير السن.

وقال تعالى في شأن سيّدنا يحيى بن زكريّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. والحكم هو النبوّة، وسيّدنا عيسى ما زاد عمره عن ثلاث وثلاثين سنة[٢].

جـ- الرسالة الإلهية اِصطفاء:

الرسالة منحة إلهيّة يختصّ بها من يشاء من عباده، فضلاً منه ونعمة وليست الرسالة درجة علميّة يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبّد أو التعلّم، وإنّما هي اصطفاء واختيار للرسّل من بين سائر الناس. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة، للقرضاوي (٨/ ٣٦٨).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٣٧٢).

د- الرسول يوحى إليه:

إنّ أخصّ ما يُميّز الرسول عن سائر البشر، أنّه يوحى إليه من الله عَزَّوَجَلَّ، فالرسول لا يصدر فيما يُبلّغه إلى الناس عن نفسه ورأيه، وإنّما يتلقّى ذلك بوحي من الله عَزَّوَجَلَّ. قال تعالى مخاطبًا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

والوحي لغةً: الإعلام في سرعة، وخفاء.

واصطلاحًا: إعلام من الله لنبيّه بطريقة غير معتادة لدى البشر، تفيد الرسول العملَ اليقيني القاطع بما أعلمه الله به[1].

هـ- طريق الوحي:

إنّ البشر يُحصِّلون عِلمهم بطريق الحواس أو العقل، أمّا علم الأنبياء تنقسم إلى أنواعٍ ذكَرها اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

النوع الأوّل: أن يُلقي الله سبحانه المعنى في قلب النبي مباشرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

ويكون ذلك في اليقظة والمنام، وله عدّة صور:

- إلقاء الله معنىً يفيضه على قلب رسوله في حالة اليقظة، ويستيقن معه أنّه من عند الله عَزَّوَجَلَّ، بحيث لا يجد فيه شكًّا، ولا يستطيع له دفعًا ويُسمّى هذا النوع من الوحي (النفث في الرّوع)، والرُّوع: القلب وفي الحديث: «إنّ روح القدس نفث

(١) المصدر السابق (٨/ ٣٧٣).

في رُوعي، أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفي رزقها وأجلها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب»[١].

وروح القدس: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ونفث في رُوعي: أي ألقى الوحيَ في قلبي.

- ومنها ما يكون رُؤيا صادقة في النوم، ومن ذلك رؤيا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمر الله إيّاه بذبح ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وفي صحيح البخاري، عن عائشة أمّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أوّل ما بُدي به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح»[٢].

والنوع الثاني: ما يكون مكالمة بين الله تعالى وبين رُسُله، وهو المراد من قوله تعالى ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

والنوع الثالث: ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

وذلك أشهر أنواع الوحي، ويُسمّيه العلماء: الوحي الجليّ، ووحيُ القرآن كلُّه من هذا النوع، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد، رقم ٣٥٤٧٣، وقال الحافظ في المطالب العلية، (٩٢٧)، فيه انقطاع.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في التفسير (٤٩٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

٢- الفرق بين النبي والرسول:

اِختلف العلماء في التفريق بين معنى النبي والرسول، على أقوال: فرأى بعضهم أنّهما سواء، فالنبيّ والرسول لفظان لمعنى واحد، ورأى البعض: أنّهما متفرّقان من وجه ويجتمعان من وجه. فكل رسولٍ نبيّ، وليس كل نبي رسولاً[١].

والراجح في الفرق بين النبيّ والرسول، أنّ الرسول من بُعث بشرع جديد، وأُمر بتبليغه، والنبيّ من أُمر بالتبليغ، ولكن بشرع من سبقه من الرسل، كحال أنبياء بني إسرائيل الذين كُلِّفوا بتبليغ شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمراد بالشرع هنا، هو: التشريع الذي يُحوي شيئًا جديداً لم يكن له في التشريع السابق، كما في حال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد قال الله في شأنه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

٣- من صفات أيّوب وبقية الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

الرسل هم سفراء الله تعالى إلى الخلق لهدايتهم إلى الحقّ، ودعوتهم إلى الخير. وإن هداية البشر مهمّة عظيمة، لا يصلح لها إلّا من توفّرت فيهم صفاتٌ رفيعة من الكمالات الإنسانيّة، فالرسول رجل اصطفاه الله من البشر، واختصّه بالوحي، وأمَره

(١) تنويع خطاب القرآن الكريم في العهد المكي، رجاء بنت صالح محمد البحر، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م، ص٢٤٥.

بتبليغه، فهو مصطفىً، وموحىً إليه، ومُبلّغ عن الله، ومِن أهمّ صفاتهم المتعلّقة بالرسالة:

أ- الصدق:

الرّسل صادقون في أقوالهم وأعمالهم، قال تعالى: على لسان الكافرين حين يُبعثون من قبورهم يوم القيامة: ﴿قَالُواْ يَوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. ولا يصلح للرسالة كذّاب، والرسل مُبلّغون عن الله تعالى، وداعون إلى الحق قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]. فيستحيل على النبيّ الكذبُ، وذلك بنقل وحي الله تعالى إلى الناس، فلو صدر منه الكذب لتسرّب شكّ الناس إلى الوحي الذي ينقله إليهم[١]. ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٧].

ب- الفطانة:

هي أن يكون الرسول ذكيّاً عميق الفهم، وحاضر البديهة، وقويّ الحُجّة، سديد الرأي، ليس غبيّاً ولا بليداً، لأنّ الرسول يُربّي أمّته، ويجادل خصومه، ويُقيم البراهين على صحّة ما جاء به[٢].

جـ- التبليغ:

لا بد لهذا الصادق الفَطِن أن يُبلّغ ما أوحي إليه من الأحكام والشرائع، وهذا مقتضى الرسالة، فقد قام أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بتبليغ الرسالة حقّ التبليغ.

---

(١) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٧٨).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٣٧٩).

د- العصمة:

حفظ الله تعالى رسله من المعاصي والذنوب، ليكونوا أسوة حسنة للناس، ولهذا نؤمن نحن المسلمين بعقيدة (عصمة الأنبياء) من الخطايا والرذائل التي تنافي تكليفهم هداية البشر، وتنفّر الناس منهم، وتجعلهم عرضة للانتقاد.

ومعنى العصمة: أنّهم لا يتركون واجبًا، ولا يفعلون محرّمًا، ولا يَقترفون ما يتنافى مع الخُلُق الكريم، فأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم دائرة بين الواجب والمندوب، فهم معصومون عن الكبائر، وعن المنفّرات، ورسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم) معصومون في تبليغ الوحي عن الكذب والنسيان والغفلة، ومعصومون عن الزيادة فيه أو إخفاء بعضه. وهم معصومون أيضًا من الوقوع في كبائر الذنوب، وعن الصغائر التي تدلّ على خساسية الطبع، وصونًا لعلوِّ مكانتهم[1].

هـ- مكارم الأخلاق:

الرسل متّصفون بأرفع الكمالات الإنسانيّة، ويَتحلَّون بأسمى الأخلاق الفاضلة: كالكرم، والعدل، والشجاعة، والصبر، والعفّة، والأمانة، والحلم، والحياء، وسائر مكارم الأخلاق، ولذا فقد وصف الله تعالى نبيّنا الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فالرسالة لا يصلح لها بخيل، ولا حقود، ولا حسود، وإنّما يصلح لها من اتّصف بكرم النفس وطهارتها، وتحلّى بالأخلاق الفاضلة، وإنّما خصّ الله رسله بهذه الصفات ليصحّ الاقتداء بهم، ولو لم يكونوا متميّزين بهذه الفضائل،

(١) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٨١-٣٨٢). وللتوسع: العصمة في عقيدة أهل السنّة، منصور بن رشد التميمي، ص١٥؛ دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر الألمعي، ص٢٥٠؛ العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، ص٤٤-٤٦.

معصومين من النقائص، لمّا كانوا أهلاً لاختصاص الله إياهم بوحيه، ولضعف ثقة الناس بهم ولضاعت الحكمة من رسالتهم[١].

هـ- الكمال في الخلقة الظاهرة والسلامة من الأمراض المنفّرة:

كما يجب الإيمان بصدق الرسل، وأمانتهم، وتبليغهم، وفطانتهم، وعصمتهم، فكذلك يجب الإيمان بكمال خلقتهم، فهم يتميّزون بسلامة أبدانهم ممّا تنفِّر منه الطباعَ السليمة، فلا يمرضون مرضـًا منفّراً أو مُقعداً عن تبليغ رسالاتهم، كالجُذَري، والجذام، والبرص، والصرع، والحمّى، فإنّها قد تُصيبهم؛ لأنّها لا تمنعهم من أداء رسالتهم، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمرض، وأصابه الصداع، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود: "دخلتُ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يوعك وعكـًا شديداً، فمسسته بيديّ، وقلت: يا رسول الله إنّك توعك وعكاً شديداً، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أجل، كما يوعك رجلان منكم»"[٢].

وما يُحكى عن سيّدنا أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنّه اشتد به المرض، وصار الدود يخرج من بدنه، كذب وافتراء وتشويهات إسرائيليّة يتنزّه منصب النبوّة عنها[٣].

٤- الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتّى يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، ويصدّق بأنّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم

(١) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٩٠).
(٢) رواه البخاري، رقم ٥٦٦٠.
(٣) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٣٩١).

من ربهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمم، وجاهدوا في الله حقّ جهاده.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ومن السنّة قولُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»[(١)].

والإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله لا يتمّ حتّى يؤمن العبد بجميعهم من غير حصر، ومن قصّهم الله علينا ومن لم يقصصهم، فقد أخبرنا جَلَّ وَعَلَا أنّ هناك أنبياء لم يقصصهم علينا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨]. فنؤمن بما سمّى الله في كتابه من رسله، ونؤمن بأنّ الله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلّا الذي أرسلهم، ونؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل: إقرارك بهم وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إيّاه دائبًا على ما جاء به، فإذا اتّبعتَ ما جاء به أدّيتَ الفرائض وأحللتَ الحلال، وحرّمتَ الحرام، ووقفتَ عند الشبهات وسارعتَ في الخيرات[(٢)].

ومن أطاع رسولاً واحداً، فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع، لأنّ كلّ رسول يصدّق

(١) البخاري، رقم ٤٨.
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٣).

الآخر ويقول: إنّه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذّب رسولاً فقد كذّب الذي صدّقه، ومن عصاه فقد عصى مَن أمَر بطاعته[١].

٥- عدد الرسل:

أرسل الله سبحانه رسلاً إلى جميع الأمم، لا يعلم عددهم إلّا الله سبحانه، وقد قصّ القرآن الكريم علينا بعضاً منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وتشير الآيات القرآنيّة إلى أنّ الأنبياء والرسل أعدادهم وفيرة، ومن دلائل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]. أي: متتابعين، ودلّت الآية على أنّ الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تتابعوا واحداً تلو الآخر، ممّا يدلّ على كثرتهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]، و(وكم): هنا خبريّة، معناها التكثير، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقة. وقد ورد ذكر خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وهم: آدم أبو البشر، ونوح شيخ المرسلين، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل بن إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وداوود، وسليمان بن داوود، وأيوب، ويونس، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، وزكريّا، ويحيى بن زكريّا، وعيسى، ومحمّد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

---

(١) المصدر السابق (١٩/ ١٨٠).

ومن هؤلاء الخمسة والعشرين أربعة من العرب وهم: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد (صلّى الله عليهم أجمعين)، وقد وردت في بعض الأحاديث الضعيفة أعداد المرسلين، وهي أحاديث لا تقوم بها حجّة، ولا ينبغي لأهل العلم والإيمان أن يشغلوا الناس ويضيّعوا أوقاتهم بها.

وقد اختلف في (ذو القرنين، وتُبّع، والخضر) هل هم أنبياء أم لا؟

فذهب طائفة من أهل العلم إلى أنّ ذا القرنين نبي من الأنبياء وكذلك تُبّع، والأَولى أن يتوقّف في إثبات النبوّة لهما، لما صحّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «ما أدري تُبّع أنبياء أم لا؟ وما أدري ذا القرنين أنبياء كان أم لا»[(١)].

وأمّا الخضر، فقد رجّح الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه نبي، لقوله تعالى في آخر قصته: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] أي: أنّه قد أوحى إليه فيه[(٢)].

٦- التفاضل بين الأنبياء والرسل:

أخبر القرآن الكريم أنّ الله فضّل بعض الرسل على بعض، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. والتفضيل راجع إلى اختيار الله تعالى، بمزايا وهبها الله لنبيّه أو لأمّته أو لرسالته.

وأفضل الرسل على الإطلاق هم أولو العزم، وأفضل أولو العزم هو رسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أنّه جمع كلّ ما تفرّق في الرسل السابقين ورسالاتهم من مزايا ومحاسن وكمالات، فهو أفضلُ المرسلين وسيّدهم، ورسالتُه أكمل الرسالات وأعمّها وأشملها، وأمّتُه خير أمّة أُخرجت للناس، ودينُه هو الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (١/ ٣٦)، وصحّحه على شرط الشيخين.

(٢) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٤٠٢).

وأفضل أولي العزم بعد رسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو أبونا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ واختلف في ترتيب الثلاثة الباقين بعدهما[١].

٧- أولو العزم من الرسل:

العزم: القوّة في الدين، والإمامة في الصّبر، والتقوى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وإن الراجح هو أن أولي العزم من الرسل خمسة، هم: نبيّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وقد خصّهم الله بالذكر في كتابه في بعض المواضع:

- كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

- وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وفي الآيتين دليل على أنّ هؤلاء الخمسة هم أولو العزم؛ لأنّ الله تعالى ذكر الأنبياء ثمّ عطف عليهم هذه المجموعة، وعطفُ الخاصّ على العام يفيد أنّ للخاص زيادةً في الفضل.

وخاطب الله تعالى نبيّه محمّداً بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

أمّا سبب تسميتهم بذلك، فلما تميّزوا به من الهمّة العظيمة في الدعوة إلى الله، والصبر على ما نالهم من الأذى الشديد في سبيل الله، والثبات في مواجهة الباطل، والقوّة في الحقّ.

قال ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]: "ذوو الحزم والصبر"، وقال الضحّاك: "ذوو الجِدِّ والصبر"[(١)].

وقد أثنى الله على أولي العزم من الرسل لما فيهم من جميل الخِلال، وعِظَم الصفات، كما قال تعالى عن نبيّه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]. وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥]. والخُلّة: هي كمال المحبّة.

وقال عن نبيّه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. وخاطب خاتم رسله محمّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١][(٢)].

٨- حكمة إرسال الرسل عامّة:

من حكمة الله تعالى في إرسال الرسل، هو أنّ الخلق بحاجة إلى الرسل ليُبلّغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا

(١) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ٢٠٠٧م (٤/ ٢٠٧).
(٢) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٤٠٤).

في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رُسُلاً مبشّرين ومنذرين.

فالرسل بُعثوا يُهذّبون العباد، ويُخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ويُحرّرونهم من رِقّ عبوديّة المخلوق إلى حرّية عبادة ربّ العالمين الذي أوجدهم من العدم، وسيفنيهم بعد الوجود، وبعثهم بعد الفناء، حتى يكونوا إمّا أشقياء وإمّا سُعداء.

ولو تُرك الناس هملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضنكًا؛ في جاهليّة جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة، وأصبحت الحياة مجتمعَ غابٍ، حيث القويّ فيهم يأكل الضعيف، والشريف فيهم يذلّ الوضيع، وهكذا فاقتضت حكمته جَلَّ وَعَلَا ألّا يخلق عباده سُدى ولا يتركهم هملاً، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

ومن رحمته جَلَّ وَعَلَا بهم، أن منّ عليهم فبعث رُسُلاً مبشّرين ومنذرين يتلون عليهم آيات ربّهم، ويعلّمونهم ما يصلحهم، ويرشدونهم إلى مصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[1].

أ- قطع المعاذير في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

ب- إزاحة الغفلة والإعداد للهداية:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

(١) نوح والطوفان العظيم، ص٨١.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [يونس: ٢].

جـ- رفع الاختلاف وردّ الناس إلى أصول يتّفقون عليها:

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

د- إقامة القسط بين الناس:

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فهدفُ الرسل والرسالات السماويّة كلّها: إقامةُ العدل بين الناس، وليس المراد إقامة التعادل والتوازن بين بعضهم البعض فقط، بل بين القيم بعضها وبعض، والفضائل بعضها وبعض، والحقوق بعضها وبعض، فلا ينبغي أن يطغى حقّ على واجب، ولا أن يطغى رجل على امرأة، ولا أن يطغى حاكم على محكوم، ولا أن يطغى الفرد على المجتمع، والمجتمع على الفرد، أو أن تطغى المعاني الرُّوحيّة على المعاني المادّيّة، أو المادّيّة على الرُّوحيّة، إنّه التوازن، إنّه العدل الذي جاء به الرسل جميعًا: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨، ٩]. لا طغيان، ولا إخسار، ولا تطفيف، ولا إفراط، ولا تفريط[1].

(١) موسوعة الأعمال الكاملة (٨/ ٤٠٩).

هـ- الأسوة الحسنة:

إنّ مهمّة الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) هي الدعوة إلى الله، وإلى الحقّ والخير، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتدي الناس بهم.

- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

- وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

هذه أهمّ المهمّات التي يقوم بها الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هداية الناس إلى الحقّ والخير، وتحذيرهم من الباطل والشرّ، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦][1].

٩- وظائف الرسل:

إنّ الرسل (عليهم الصلاة والسلام) لهم غاياتٌ عظمى، ووظائفُ كبرى، وأهدافٌ سامية، أجمل بعضها في النقاط التالية:

- تبليغ الشريعة الربّانيّة إلى الناس.

- تبيين ما أنزل من الدين.

- دلالة الأمم على الخير، وتبشيرهم بالثواب المعدّ إلى ما فعلوه وتحذيرهم من الشرّ وإنذارهم بالعقاب المعدّ إن اقترفوه.

- إصلاح الناس بالقدوة الطيّبة، والأسوة الحسنة في الأقوال والأعمال.

- إقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه.

---

(١) موسوعة الاعمال الكاملة (٨/ ٤٠٩).

– شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة قد بلغوهم البلاغ المبين.

فهذه بعض وظائف المرسلين التي تزيدهم شرفًا إلى شرفهم، وفضلاً إلى فضلهم، ويكفيهم فخراً أنّهم يُبلّغون عن ربّ العالمين، فسبحان من خصّهم بهذه الرتبة العليّة، ومنحهم هذه الوظيفة السنيّة، واصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده، ليقوموا بهذه الخدمة المرضية[1]، ويمكن التوسّع في وظائف الرسل بالرجوع إلى كتابي (نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم).

١٠- أمور تفرّد بها الأنبياء:

أ- الوحي:

خصّ الله الأنبياء دون سائر البشر بوحيه إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذا الوحي يقتضي عدّة أمور، وهم يفوقون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله بعضهم، واتصالهم ببعض الملائكة، وتعريف الله لهم شيئًا من الغيب، يقول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

ومن ذلك الإسراء بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى البيت المقدس، والعروج به إلى السماوات العُلا، ورؤيته الملائكة والأنبياء، واطّلاعه على الجنّة والنار، ومن ذلك رؤيته للمعذَّبين في قبورهم، وسماعه تعذيبهم، وفي الحديث: «لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم عذاب القبر»[2].

---

(١) النبوات، ابن تيمية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٦م (١/ ٢٨-٢٩).

(٢) صحيح مسلم، ك الجنة (٤/ ٢٠٠)، رقم ٢٨٦٨.

ب- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

إن ممّا اختصّهم الله به أنّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الإسراء: «والنبيّ نائمة عينه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[(١)].

وهذا وإن كان من قول أنس إلّا أنّ مثله لا يُقال من قبل الرأي، كما يقول ابن حجر[(٢)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تنام عيني ولا ينام قلبي»[(٣)].

جـ- الأنبياء لا يُورَثون:

ممّا اختصّ الله به الأنبياء أنّهم لا يُورَثون، بل ما تركوه من الأموال يكون صدقة من بعدهم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا نُورَث، ما تركناه صدقة»[(٤)].

والحكمة من ذلك: أنّ الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورِّثوا دَينًا، لئلّا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوّتهم بأنّهم طلبوا الدنيا وخلَّفوها لورَثَتهم[(٥)].

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]، فالمراد بهذا الإرث: العلم والنبوّة والملك، وليس المراد وراثة المالك، لأنّه قد كان له بنون غيره، فما كان ليُخصَّ بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في (الصحاح) من غير وجه، عن جماعة من الصحابة أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا نُورَثُ، ما تركناه فهو صدقة».

وفي لفظ: «إنّا معاشر الأنبياء لا نُورَث»، فأخبر الصادق المصدوق أنّ الأنبياء لا تورَث أموالُهم عنهم كما يورِّث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على

(١) صحيح البخاري، رقم ٣٥٧٠.
(٢) فتح الباري (٦/ ٦٧٠).
(٣) فتح الباري (٦/ ٦٧٠)، رقم ٣٥٦٩.
(٤) صحيح البخاري، رقم ٦٧٣٠.
(٥) منهاج السنة، ابن تيمية، ٢٠١٩م (٤/ ١٩٥).

الفقراء والمحاويج، لا يخصُّون بها أقرباءهم، لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضّلهم[١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦]، ليس المراد به إرث المال، إنّما إرث العلم والنبوّة، وفي الحديث: «وإنّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر»[٢].

د- تخيير الإنسان عند الموت:

ممّا تفرّد به الأنبياء أنّهم يُخَيَّرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من نبيّ يمرض إلّا خُيِّر بين الدنيا والآخرة»، وكان في شكواه الذي قُبِض فيه أخذته بحّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، فعلمتُ أنّه خُيِّر"[٣].

هـ- لا تأكل الأرض أجسادهم:

ومن إكرام الله لأنبيائه ورسله، أنّ الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى، وفي الحديث: «إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٤].

و- العِصمة:

العِصمة من الأمور التي خصّ الله تعالى بها أنبياءه ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دون سائر البشر، وقد عَرّفها الراغب الأصفهانيّ في المفردات، فقال: حِفظه إيّاهم أوّلاً بما

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ١٧).

(٢) العصمة في عقيدة أهل السنة، ص٤٢.

(٣) صحيح البخاري، ك التفسير، رقم ٤٥٨٦.

(٤) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عزة الدعاس، دار الحديث، حمص، سوريا، ط١، ١٣٨٨هـ، رقم ١٠٤٧.

خصّهم به من صفاء الجوهر، ثمّ بما أولاهم من الفضائل الجسميّة والنفسيّة، ثمّ بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثمّ بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق[١].

وقد أخذ الحافظ بن حجر تعريف الراغب بشيء من التصرّف فقال في الفتح: وعصمة الأنبياء (على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام) حِفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسيّة، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة[٢].

ومن خلال معرفة الرسالة، والنبوّة، وصفات الأنبياء والمرسَلين، والحكمة من إرسالهم، ووظائفهم، وما تفرّدوا به، نتعرّف على صفات أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر، والحكمة من إرساله، والوظائف التي قام بها، وما تفرّد به.

١١- وفاة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ: أنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا تُوفّي كان عمره ثلاثًا وتسعين سنة[٣]. وقيل: إنّه عاش أكثر من ذلك، وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه: أنّ الله يحتجّ يوم القيامة بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأغنياء، وبيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأرقّاء، وبأيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على أهل البلاء[٤]، رواه ابن عساكر بمعناه[٥].

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٣٧.
(٢) فتح الباري (١١/ ٥١).
(٣) تاريخ الطبري (١/ ٣٠٧).
(٤) البداية والنهاية (١/ ٣٢٠).
(٥) تاريخ ابن عساكر، ابن عساكر، دار الفكر، ٢٠٠٦م (١٠/ ٨٢).

الخلاصة

بعد أن اِستعرضنا قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما وردت في كتاب الله العزيز، وما تم بيانه في التفاسير والمصادر الموثوقة، يتضح جليًا أن حياته كانت مثالًا حيًا على الصبر والثبات على الحق، ليس فقط في مواجهة البلاء الشديد الذي أصابه في جسده وأهله وماله، بل أيضًا في استمراره بالدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ. فقد كان أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من النبيين الذين جعلوا من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده هدفًا أسمى من كل الأهداف، رغم ما عاناه من مصاعب وإعراض، وبقي ثابتًا على الحق، صابرًا محتسبًا، راضيًا بقضاء الله وقدره. وكان صبره نموذجًا يحتذى به في التوكل على الله والثقة به، حتى جاءت رحمة الله في الوقت المناسب، مكافئةً له على إيمانه. ومن خلال تلك القصة العظيمة، يتضح لنا أن الابتلاء ليس دليلًا على غضب الله، بل قد يكون اختبارًا للإيمان والصبر، وبالتالي، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١. من المعروف أن قصة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد دخلها الكثير من الإسرائيليات والأخبار الواهية التي تزعم تفاصيل ومضامين لا تليق بنبي الله أيوب، ولا يرضاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه. هذه الأخبار تسللت إلى العديد من المصادر، حتى تلك التي يُعتمد عليها في قصص الأنبياء، مثل بعض كتب التفسير والحديث والتاريخ الإسلامي.

٢. يعود نسب أيوب إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذكر القرآن هذا النسب في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤]

٣. اتفق العلماء والمؤرخون على أن مقام أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في الشام، إلا أنهم اختلفوا في تحديد الموقع بدقة؛ فمنهم من قال إنه كان بدمشق وما حولها، ومنهم من قال إنه في سهل حوران جنوب دمشق، ومنهم من ذكر أنه كان بآدوم جنوب البحر الميت، فيما ذهب آخرون إلى أماكن أخرى.

٤. كان نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نموذجًا فريدًا في الصبر والثبات على الإيمان، خاصة في دعوته إلى توحيد الله ونبذ الشرك. ورغم أن القرآن الكريم لم يورد تفاصيل كثيرة عن قومه أو أسلوب دعوته، إلا أن التفاسير والمصادر الموثوقة تشير إلى أنه عاش في بلاد الشام أو أرض حوران، وكان رجلًا صالحًا يدعو الناس إلى الإيمان بالله وحده.

٥. لم يكن مرض سيدنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ منفرًا كما زعمت بعضُ الروايات، ولم يخرج منه الدود، ولم يُعِد الدود ليأكل من جسده، كما لم تصدر منه روائح كُريهة دفعت الناسَ إلى رميه في المزابل؛ فهذه من الأكاذيب والأباطيل والبهتان المبين.

٦. إن القصص الواهية والأخبار الكاذبة حول أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحنته مرفوضة عند العلماء العقلاء والمحققين وأهل العلم، وكذلك عند الباحثين عن الحقائق الجادين وأهل البصائر الأنقياء. ويجب ألا يُلتفت إليها أو يُصغى لها، بل تزداد استنكارًا من الناس.

٧. لم تُحدد مدة البلاء والمرض الذي تعرض له أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد تركها القرآن الكريم مبهمة، ولم تأتِ أحاديث نبوية صحيحة تحدد هذه المدة أو نوع المرض الذي أصابه.

٨. نسبت بعض الروايات الإسرائيلية إلى نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفعالًا وأقوالًا تدل على الجزع، وعدم الصبر على البلاء، وهو ما يتنافى مع منصب النبوة ووصف القرآن له بالصبر والثبات.

٩. نقل بعض المفسرين روايات عجيبة وغريبة عن طبيعة المرض الذي أصاب أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكلها من الإسرائيليات التي لا نقبلها؛ لأنها تنافي ما ثبت عن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

١٠. رأى بعض العلماء أن الابتلاء الذي أصاب أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الوجه الذي ذكره المفسرون وعلماء التاريخ من مرض منفّر كان قبل النبوة. وأن منحة النبوة كانت لما ظهر منه من الصبر والرضا على ما أصابه من مكروه.

١١. ليس للشيطان سلطان على أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الحقيقة، وإنما الله هو الذي ابتلاه بالنصب في بدنه والعذاب في ماله، لكنه لم ينسب ذلك إلى الله أدبًا في مخاطبته ونسبة الأمور إليه.

١٢. لم يكن للشيطان تأثير على أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليُنزِل به مرضًا أو سقمًا، فهذا مستحيل؛ لأن هذا من قدر الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

١٣. المؤمن الفرد، في أي أرض وأي جيل، قويٌّ وقوي، وكبيرٌ وكبير، فهو من تلك الشجرة المتينة، السامقة، الضاربة جذورها في أعماق الفطرة البشرية،

وفي أعماق التاريخ الإنساني، وعضو في ذلك الموكب الكريم الموصول بالله وهداه منذ أقدم العصور.

١٤. نتعلم من قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن كلما عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، أثر ذلك في دعائه وقوة رجائه، ولجوئه وتضرعه لربه سبحانه، وثقته بكفايته وقدرته على قضاء حوائج عباده.

١٥. كان أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو قومه إلى الاعتراف بقدرة الله وتدبيره الحكيم، مستندًا إلى تجربته الشخصية التي أثبتت أن الابتلاء جزء من الحياة، وأن الصبر على الابتلاء يرفع من مقام الإنسان عند الله. وكما جاء في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وهذا النداء الخاشع يبرز إيمانه العميق، ورجاءه الدائم في رحمة الله.

١٦. من أخصّ صفات الربّ عَزَّوَجَلَّ الرحمة والرأفة بعباده، وهي من موجبات ربوبيّته. ومن مظاهر ذلك تربيتُه لعباده، وإنعامه عليهم، وإرسالُه الرسُلَ إليهم، وإنذارُهم وتبشيرهم، وهذه كلها من لوازم التربية العامّة.

١٧. عندما نتأمل في دعاء أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه، نجد أنه كان في غاية الأدب مع الله، والرضا بقضائه، والرغبة في كشف الابتلاء، إذ قال: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

١٨. صورة التضرع والالتجاء إلى الله هي صورة من صور الأدب العالي مع الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدعاء. ولا شك أن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما توجه إلى الله بهذا النداء كان في أشد حالات الاضطرار.

١٩. أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في أدبه الرفيع أثناء تضرعه ودعائه، يعلّمنا من خلال سيرته وسلوكه وصبره واحتسابه كيف نتعامل مع الله في الدعاء والاستغاثة، والتوكل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فهو لم يزد في دعائه على وصف حاله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٢٠. الضراعة إلى الله مطلوبة، والدعاء مشروع، بل هو عنوان العبوديّة والافتقار إلى الله.

٢١. ألطف أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في سؤاله، حيث أشار إلى نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربّه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب، بل اكتفى بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٢٢. لم يذكر أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه لربه تفاصيل ما أصابه، لعلم الله بحاله، فجعل كلامه إشارة، وقلل من شأن ما أصابه بذكره مجرد "المس": ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٢٣. دعا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه حال محنته واستغاثته بأحد الأسماء المناسبة للمقام الذي كان فيه، إذ مسّه الضر والعذاب، فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، ومن أسمائه الحسنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "الرحمن" و"الرحيم"، وهما مشتقان من الرحمة التي تعني الرقة والعطف والحنو.

٢٤. اِستجابة الله لدعاء عباده سنة ثابتة وعبادة عظيمة، وقد قام بها أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على أكمل وجه، مبينًا فقره المطلق إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل أحواله.

٢٥. المؤمن بالله إيمانًا حقيقيًا يعلم أنّه فقير إلى الله فقراً مطلقًا في كلّ الأحوال، راضيًا بقضاء الله وقدره في كلّ الظروف والأزمات. وهكذا يعلّمنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه لربه وتضرعه إليه في أشد الأزمات التي مرّ بها: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

٢٦. جمع أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الدعاء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربّه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنّه أرحم الراحمين. كما تَوَسَّل إليه بصفاته سبحانه، ومتى وجد المبتلى هذا كُشِفَ عنه بلواه.

٢٧. ابتُلي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في نفسه، وولده وماله؛ فابتُلي بالمرض، وهلاك الأولاد، وضياع الأموال امتحاناً منه واختياراً له. ثمّ كُشف عنه ما به من ضر، فشُفيَ من أمراضه التي أُصيب بها، وأنجب من الأولاد ضعف ما كان، وحُسّن حاله في ماله. ولم يُصرّح القرآن الكريم بما صار إليه من سعة في المال، كما صرّح بما صار إليه أمره من كثرة الأولاد.

٢٨. من أراد أن يعبُد الله حقّ عبادته مهما كانت ظروفه، فقصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ تساعده وتسعفه، وتقدّم له المثل الأفضل والأحسن، والنموذج الذي يُحتذى. فالعابدون أحوج الناس إلى أن تكون بين أيديهم أمثلة للصبر، الاحتساب، الشكر، والاقتراب من الله جلّ شأنه.

٢٩. الأنبياء أشدّ الناس بلاء، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثمّ الصالحون، ثمّ الأمثل فالأمثل. يُبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة، شُدّد عليه في البلاء». وقصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثال عملي وشاهد حقيقي على هذا الحديث الشريف.

٣٠. تُخبرنا قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ظروف الحياة هي ظروف ابتلاء وامتحان للجميع. فالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مبتلون، وأقوامهم مبتلون، والمؤمنون مبتلون، والكافرون مبتلون. وأنواع الابتلاء مختلفة، منها ابتلاء التكاليف، ومنها ابتلاء بالنعم، ومنها ابتلاء بالنقم والمصائب، ومنها ابتلاء الناس بعضهم ببعض.

٣١. مرّ أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسنّة الابتلاء بنجاح، وكان ابتلاؤه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أولاده وأمواله، فهلكت جميعها من إبل وبقر وغنم وزروع وثمار وغيرها.

٣٢. يُؤخذ من ابتلاء الله لأيوب وصبره على محنته التي أصابته، دروس في غاية الأهمية والخطورة؛ وهو أهمية الصبر على البلاء، والرضا بأمر الله، وعدم السخط به، لنيل رضا الله تعالى والفوز برحمته.

٣٣. إنّ نسبة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إيقاع الضرّ به إلى الشيطان، بقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١]، حيث فعل هذا أدبًا مع الله. وإلّا فإنّ الضرّ والنصب قد أصابه بأمر الله وقدره سبحانه، ابتلاءً واختباراً له عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٣٤. المرض الذي أصاب سيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبدو أنّه كان مرضًا جلديًا يترك على بشرته بثوراً تشوّه جلده. والآن نرى الأطباء الذين يعالجون الأمراض الجلدية يعالجونها بالمراهم الظاهرية التي تعالج ظاهر المرض، لكن لا تتغلغل إلى علاج سبب المرض الداخلي. فكان من رحمة الله بسيدنا أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن جعل شفاءه الظاهري والباطني في ركضة واحدة، حيث قال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [سورة ص: ٤٢]، فيغتسل منه مُغتسلاً بارداً، فيشفى ظاهر مرضه، وشراب يشفي أسباب المرض في داخل جسمه.

٣٥. ما جاء في خبر شفاء أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن امرأته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت غائبة عنه لقضاء حوائجه من طعام وشراب وأدوات للعناية به. فعندما رجعت ورأته، لم تعرفه لما فيه من قوّة ونشاط وحيوية وصحة وعافية. فقالت: "بارك الله فيك، هل رأيت نبيّ الله هذا المبتلى؟ فوالله ما رأيت أحداً أشبه به منك إذا كان صحيحًا!" فقال: "فإنّي أنا هو". فلا شكّ أنّها أجهشت من البكاء من شدّة الفرح، وحمدت الله عَزَّوَجَلَّ وشكرته على شفاء زوجها الحبيب العزيز.

٣٦. إن قصّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هي قصّة الإيمان الكامل والصبر الجميل، وهي ترينا أنّ الصبر على الشدائد يصفّي النفوس، ويرفع الدرجات، ويعلي قدر الإنسان بين الناس، فيصبح أمامهم قائداً وقدوة، ثمّ يكون له من الله خير العوض في الدنيا، وله بعد ذلك في الآخرة الجزاء الأوفى.

٣٧. تُفيد قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنّ الصبر صفة ومنقبة ممدوحة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والجزع والفزع والاضطراب وعدم الصبر على الطاعة والكف عن المعاصي والشهوات المحرّمة صفة مذمومة وقبيحة ينبغي أن يُقلع عنها كل مؤمن.

٣٨. تُرشدنا قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أهميّة الدعاء. فقد ابتُلي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلاءً شديداً فصبر، ثمّ اتّجه إلى الله تعالى بالدعاء تضرعـًا وتذللاً، وتعبداً ورجاءً، حتى حقق الله رجاءه وطلبه، واستجاب دعاءه، وأعطاه الله أكثر مما طلب وعوّض عما سبق.

٣٩. يُعلّمنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ألا تعارض بين الصبر والدعاء، فالدعاء لا ينافي الصبر. والذي ينافي الصبر هو الشكوى إلى الخلق، أما الذي يشتكي إلى الله فهو الصابر المحتسب. وأيوب لم يشتكِ إلى الخلق، بل لجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيوب كان داعيـًا، ولم يكن شاكيـًا.

٤٠. إنّ أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان محبّـًا لربّه، ومحتاجـًا إليه متذللاً له. والقيمة التربويّة من دعاء أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ هي أنّ العابد يجب أن يكون مطّلعـًا على الله عَزَّوَجَلَّ وممتثلاً لأمره من أجل تحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ، وذلك من خلال محبّته لله، وتحقيقه للتقوى والإيمان. وينتج عن ذلك انشراح للصدر، وتفريج للهمّ، وسعة في الحياة، وراحة بال.

٤١. من شروط الدعاء أن يكون العبد عالمًا بأنه لا يقدر على حاجته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن من عداه في قبضته ومسخّر بتسخيره عَزَّوَجَلَّ، فلا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله عَزَّوَجَلَّ.

٤٢. إنّ الدعاء من أنواع العبادات، وعنوان من عناوين العبوديّة لله عَزَّوَجَلَّ. كما أنّ الدعاء والاستجابة كلّ ذلك فضل من الله تعالى بأن يسمح لك بندائه، ورفع حاجتك إليه في كل شأن وفي كل حين. كما أن الأنبياء أسوة للعابدين في أمورهم كلّها، وفي الدعاء.

٤٣. كان أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صادق العبوديّة لله، ولذلك أثنى الله عليه حيث وصفه بالعبوديّة. وجاء ذلك في بداية الآيات: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [سورة ص: ٤١]، وفي آخر الآيات: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠].

٤٤. الدعاء هو ملجأ المضطرين، وهو مظهر العبوديّة التي في القلب لله ربّ العالمين. وكان النداء لربّه مبلغ جهد أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فرفع كفّ الضراعة، وكان على يقين من الإجابة. ولذلك ما أتمّ دعاءه حتى استجاب الله له، وكشف عنه الضرّ، وعافاه في جسده، وردّ إليه أهله وماله، ومدحه وأثنى عليه. فذهب الألم وبقي الأجر والمثوبة.

٤٥. إنّ من سنن الله في كونه وشرعه تحتم علينا الأخذ بالأسباب، كما فعل ذلك أقوى الناس إيمانًا بقضائه وقدره، وهو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لقد قاوم الفقر بالعمل، وقاوم الجهل بالعلم، وقاوم المرض بالعلاج، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد. وكان يستعيذ بالله من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، وتعاطي أسباب الأكل والشرب، وادّخر لأهله قوت سنة، ولم ينتظر أن ينزل عليه الرزق من السماء.

٤٦. لا يحكم على الإنسان بالشره وحب الدنيا بمجرد أخذه لها وإقباله عليها، بل ذلك يختلف باختلاف المقاصد. وإنّما الأعمال بالنيات، وهكذا يوجه الحديث الذي أنزل الله فيه ذهبـًا من السماء على أيوب، فجعل يحثو في ثوبه، وقال لله تعالى: "لا غنى لي عن بركتك".

٤٧. إذا رأى المؤمن فضل الله نازلاً عليه، فلا يقطع تناوله ما دام نازلاً، ويكون ناويـًا بذلك أن لا يشبع من رحمة الله، كما قال أيوب في الحديث: «لا غنى لي عن بركتك». فإن الله سبحانه لا يحب من عبده أن يرد عليه فضله.

٤٨. من صفات أولي الألباب أنهم يتعظون، ويعتبرون من قصص الأمم السابقة وأحوالهم من أنبيائهم ورسله، ويحيلونها إلى تجارب ودروس يستفيدون منها. فهم يتفكّرون ويتدبّرون ويتذكّرون، وذلك هو العقل العامل الخالص من الشوائب.

٤٩. كانت امرأة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مثالاً للمرأة الصالحة المخلصة لزوجها، فإنها لم تتخل عنه سنوات محنته، وكانت تخدمه وتعاونه في شؤونه، وتحمّلت مرضه، وأحسنت إليه.

٥٠. إنّ ذكر قصّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم وثناء الله عليه جعلته يشتهر عند الخاصة والعامة بالصبر الجميل. ولا يضارعه أحد من بني آدم، ولن يوجد صابر مثله في قابل الأيام حتى ضُرب به المثل في الصبر، فيُقال: صبرٌ كصبر أيوب، فأيوبُ إمامُ الصابرين.

٥١. إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة كبيرة في تعلّم الصبر، والتدرّب عليه، وتعليمه لأولادنا وأسرنا ومجتمعاتنا وشعوبنا، حتّى نعتاده ويعتادوه.

٥٢. إنّ من القيم العظيمة التي اهتمّ بها القرآن الكريم قيمة الصبر، فهو من أبرز الأخلاق القرآنيّة التي عُني بها الذكر الحكيم في سوره المكيّة والمدنيّة، وهو أكثر خُلُق تكرّر في القرآن الكريم.

٥٣. بيّن القرآن الكريم منزلة الصبر والصابرين، فالصبر مقام من أرفع مقامات الدين، وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجلّ منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شعب الإيمان، وعروة من أوثق عرى الإسلام. حتّى إنّ القرآن الكريم جعله مفتاحَ كلّ خير وبابَ كلّ سعادة في الدنيا والآخرة.

٥٤. أخلص أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في تحقيق عبوديّته لله عَزَّوَجَلَّ في أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة، وكان من أكمل العباد تحقيقاً للعبوديّة. فعباد الله يرتقون في درجات العبوديّة بحسب نصحهم فيها، وسعيهم في تحقيقها، وأهل الكمال في ذلك سبقت لهم من الله الحسنى يتبوّؤون منها أرفعها، بما يزدادونه من معرفة ربّهم، وإقبالهم على مرضاته.

٥٥. إنّ الأنبياء والمرسلين عرفوا الله بالوحي، والفطرة السليمة، والعقل الراجح حقّ المعرفة، وعبدوه حقّ العبادة. وهم أشدّ الناس اجتهاداً في العبادة، لما امتنّ عليهم من معرفته، وهم دائبون على شكره، معترفون له -مع تمام اجتهادهم- بالتقصير في أداء حقّه.

٥٦. إن النفس المطمئنّة هي التي تسكن إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واطمأنت في طاعته، ورضيت بشرعه ومنهجه، فغمرها الإيمان، فتشتاق إلى لقائه وركنت إليه. فهي تحبّ الخير والحسنات، وتبغض الشرّ والسيئات، وتكره ذلك.

٥٧. إنّ أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان متوكّلاً على الله، ومؤمنًا بقضائه وقدره، ومستسلمًا له في أحكامه الشرعيّة والقدريّة. فلا قلق ولا اضطراب، ولا غفلة ولا إعراض عن الله، بل إقبال على الله وصبر على الطاعة وعن المعصية، وفي النكبة، واليقين بما عنده من الجزاء، والرضا بما قدّره الله. فأصبح مثلاً لأصحاب الابتلاء في الصبر والاحتساب، وفي التضرّع والدعاء، وفي الفرج والرخاء.

٥٨. إنّ البشريّة اليوم تعاني من الفقر الروحي، والقلق، والاضطراب، والضنك الكبير في حياتها. وأنّ العلاج الوحيد لهذه الأمراض النفسيّة هو الرجوع إلى دين الله ورسالته الخاتمة (الإسلام).

٥٩. الرسالة منحة إلهيّة يختصّ بها من يشاء من عباده، فضلاً منه ونعمة. وليست الرسالة درجة علميّة يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبّد أو التعلّم، وإنّما هي اصطفاء واختيار للرسل من بين سائر الناس.

٦٠. من حكمة الله تعالى في إرسال الرسل أنّ الخلق بحاجة إلى الرسل ليبلّغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه. وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رسلاً مبشّرين ومنذرين؟

٦١. إنّ الرسل بُعثوا يُهذّبون العباد ويُخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ويُحرّرونهم من رِقّ عبوديّة المخلوق إلى حرّية عبادة ربّ العالمين الذي أوجدهم من العدم، وسيفنيهم بعد الوجود، وبعثهم بعد الفناء ليكونوا إمّا أشقياء وإمّا سُعداء.

٦٢. لو تُرك الناس هملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضنك في جاهليّة جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة. وأصبحت الحياة مجتمع غاب، القويّ فيهم يأكل الضعيف، والشريف فيهم يذلّ الوضيع. وهكذا فاقتضت حكمته جَلَّ وَعَلَا ألّا يخلق عباده سُدى ولا يتركهم هملاً.

٦٣. إنّ مهمّة الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) هي الدعوة إلى الله، وإلى الحقّ والخير، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتدي الناس بهم.

٦٤. روى ليث عن مجاهد ما معناه: إنّ الله يحتجّ يوم القيامة بسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الأغنياء، وبيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الأرقاء، وبأيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على أهل البلاء.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. إبراهيم أبو الأنبياء، عباس العقاد، ٢٠٠٧م.

٣. أحاديث الصحيحين المنتقدة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنطي، مبرة الآل والأصحاب، ط١، ٢٠١٥م.

٤. أحسن القصص، زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٨م.

٥. أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد مختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، ١٩٩٤م.

٦. إحياء علوم الدين لحجة الإسلام، أبو حامد محمد محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

٧. الأخلاق الإسلامية وأسسها، حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

٨. أخلاق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، محمد درويش، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض.

٩. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، ٢٠٠٧م.

١٠. أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها، خالد محمد خالد، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، ط١، ٢٠١٦م.

١١. الأصيل والدخيل من التفسير في قصة أيوب، عدنان عبد الكريم خليفات، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مج ٢٩، عدد ٩٨، ٢٠١٤م.

١٢. الإعجاز العلمي في سياق قصة النبي أيوب، عبد الوهاب القرشي.

١٣. أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، دار المعتز للنشر والتوزيع.

١٤. أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الحافظ، ٢٠٠٠م.

١٥. أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ٢٠٠٦م.

١٦. الأنبياء في القرآن قصص وعبر، هدى جعفر، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م.

١٧. الأنبياء والرسل في القرآن الكريم، د. علي العريبي، دار ابن حزم، ٢٠١٤م.

١٨. إنه الله شرح أسماء الله الحسنى، شريف فوزي، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ٢٠٢١م.

١٩. الأوراد المأثورة من الكتاب والسنة، محمد بن أحمد المقدم، دار الخلفاء الراشدين، ٢٠٠٠م.

٢٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٨م.

٢١. البحر المحيط في التفسير، محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢. البداية والنهاية، ابن كثير، دار الريان للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٩٠م، بعناية عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي، دار المعرفة، لبنان، ط٤، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، طبعة الكويت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٢٤. تاريخ ابن عساكر، أبو القاسم بن عساكر، دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٥. تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، بيت الأفكار، ٢٠٠٩م.

٢٦. تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد الطيب نجار، مكتبة المعارف، ١٩٨٣م.

٢٧. تاريخ الأنبياء، محمود عبده نور الدين.

٢٨. تنويع خطاب القرآن الكريم في العهد المكي، رجاء بنت صالح محمد البحر، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

٢٩. التحرير والتنوير، تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٣م.

٣٠. تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز بنت عبد اللطيف الكردي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الحادي عشر، ١٤٢١هـ.

٣١. التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، دار الأماجد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٣٢. تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، حققه يوسف علي بديوي، حسن سويدان، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٣٣. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، ٢٠٠٧م.

٣٤. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، دار الوطن للنشر، ٢٠٠٨م.

٣٥. تفسير الزمخشري (الكشاف)، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٠١٣م.

٣٦. تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م.

٣٧. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مكتبة الأسرة، ١٩٩٢م.

٣٨. تفسير القرآن بالقرآن، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٢٠م.

٣٩. تفسير القرآن تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، دار الوطن للنشر، ٢٠٠٨م.

٤٠. تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي، أبو عبد الله القرطبي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

٤١. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ٢٠٠٧م.

٤٢. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار النوادر للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

٤٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٤٤. التفسير الموضوعي مجموعة باحثين، إشراف د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة، الإمارات، طبعة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٤٥. تفسير سورة الأنبياء، د. أحمد نوفل.

٤٦. التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبد العزيز الطريفي، مكتبة دار المنهاج، ٢٠١٧م.

٤٧. الثمين في قصص الانبياء والمرسلين، زهير علي كاخي، دار المأمون للتراث، ٢٠٠٣م.

٤٨. الثناء في القرآن الكريم، هتون فلمبان، دار ابن حزم، ٢٠١٦م.

٤٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٧م.

٥٠. حقيقة تأثير الشيطان على الأنبياء، عروة حسن طريبة.

٥١. الحواس الإنسانية في القرآن الكريم، محمد طالب مدلول، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.

٥٢. الخارطة القرآنية، مشعل الفلاحي، دار القلم، دمشق، ٢٠٢٢م.

٥٣. دراسات تاريخية من القرآن، محمد بيومي، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٥٤. دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر الألمعي، دار الميمان للنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

٥٥. الدروس المستفادة من القصص القرآني، نصرة إبراهيم، دار عباد الرحمن، دار البشير.

٥٦. دعاء الأنبياء والرسل، محمد محمود أحمد، مركز الكتاب للنشر، ١٩٩٩م.

٥٧. دور الأنبياء في بناء الحضارة الإنسانية، د. علي محمد سعيد.

٥٨. الدولة الحديثة المسلمة دعائمها ووظائفها، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ٢٠١٣م.

٥٩. رواه ابن أبي شيبة في الزهد.

٦٠. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٦م.

٦١. روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي الخلوتي، دار الفكر، ٢٠١٣م.

٦٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم السبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٦٣. زهرة التفاسير أبو زهرة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.

٦٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ٢٠٠٦م.

٦٥. سنة الله في الأخذ بالأسباب، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٦م.

٦٦. سنة الله في الفتنة والابتلاء وأثرها العقدي، الزيدي الطويل، دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م.

٦٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، دار التأصيل، ٢٠٠٦م.

٦٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عزة الدعاس، دار الحديث، حمص، سوريا، ط١، ١٣٨٨هـ.

٦٩. السنن الاجتماعية في القرآن، د. محمد أمحزون، دار طيبة، ٢٠١١م.

٧٠. سنن الترمذي، أبو جعفر الترمذي، دار التأصيل، ٢٠١٤م.

٧١. الشخصيات القرآنية، د. نزيه محمد إعلاوي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.

٧٢. شرح ابن بطال على صحيح البخاري، علي بن خلف القرطبي، مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م.

٧٣. شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٧٤. الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الحديث، ٢٠١٠م.

٧٥. صبر أيوب، محمد كامل حسن، المكتب العالمي، ط١، ١٩٧٩.

٧٦. الصبر في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ٢٠٠٧م.

٧٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٧٨. صحيح البخاري، دار ابن كثير، محمد بن إسماعيل، البخاري، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٧٩. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

٨٠. صفات الأنبياء من قصص القرآن أيوب وذو الكفل واليسع وإلياس، الدكتور عقيل حسن، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

٨١. العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، طيبة الدمشقية للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.

٨٢. العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، منصور راشد، مكتبة الرشد، ٢٠١٥م.

٨٣. فبِهداهم اقتده، قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، عثمان الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٨٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٥. فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن القنوجي، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م.

٨٦. الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

٨٧. في صحبة الرسل الكرام، السيد عبد المقصود، دار البشير للثقافة والنشر، ٢٠٠٠م.

٨٨. في ظلال الأنبياء، محمد حمد الصوياني، شركة العبيكان للتعليم، ط١، ٢٠٢٢م.

٨٩. في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة الشرعية الثامنة والعشرون، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٩٠. القصة في القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٠٥م.

٩١. قصص الأنبياء أحداثها وعبرها، محمد الفقي، مكتبة وهبة، ١٩٨٩م.

٩٢. قصص الأنبياء، محمد متولي الشعراوي، دار القدس، ط١، ٢٠٠٦م.

٩٣. قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.

٩٤. قصص القرآن قراءة قرآنية، عمرو الشاعر، مكتبة النافذة.

٩٥. القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، أسامة عبد العظيم، دار الفتح، ٢٠٠٩م.

٩٦. القصص القرآني، الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٩٧. قصص لا تليق بالأنبياء، طارق اللحام، شركة دار المشايع، ط٤، ٢٠٢٠م.

٩٨. قوت القلوب، أبو طالب المكي، ٢٠٠٦م.

٩٩. القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ابن عثيمين، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

١٠٠. كتاب الزهد، أحمد بن حنبل، دار النهضة العربية، ٢٠٠٩م.

١٠١. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٧م.

١٠٢. الكليات معجم من المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٧م.

١٠٣. لسان العرب، محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

١٠٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٠٥. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ٢٠٠٦م.

١٠٦. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، ٢٠١٧م.

١٠٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفضي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.

١٠٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م.

١٠٩. مستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

١١٠. المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م.

١١١. مسند الإمام أبو يعلى الموصلي، أبو يعلى الموصلي، ٢٠١٧م، دار التأصيل، ط١، ٢٠١٧م.

١١٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.

١١٣. المضامين التربوية في قصة نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتطبيقاتها المعاصرة، ياسر إبراهيم رشاد، جامعة اليرموك، ٢٠٢٠م.

١١٤. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٥. مع الأنبياء في الدعوة إلى الله، د. محمد أبو فارس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ٢٠١٥م.

١١٦. مع الأنبياء والرسل، عبد الحليم محمود، دار المعارف، ٢٠٠٧م.

١١٧. مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، محمد عبد الحميد، دار الفكر، ٢٠٠٣م.

١١٨. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، عالم الكتب، ٢٠٠٧م.

١١٩. معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، محمد الغاني.

١٢٠. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة بريل، ٢٠٢٤م.

١٢١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، دار الفكر، ١٩٧٩م.

١٢٢. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٢٣. مفردات القرآن من كتاب التحرير والتنوير، فايز بن سياف السريح، دار القلم.

١٢٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة تزار مصطفى الباز، ٢٠٠٩م.

١٢٥. مقاصد القرآن الكريم ومحتوياته، عبد الله التليدي، دار الأمان، الرباط.

١٢٦. مقاصد سور القرآن الكريم، منذر محمد، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٢١.

١٢٧. من أنباء القرى، د. أحمد الكبيسي، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٧م.

١٢٨. من سنن الله في عباده، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، ٢٠١١م.

١٢٩. المنجد في اللغة، لويس معلوف، المطبعة الكاثوليكية، ٢٠٠٩م.

١٣٠. منهاج السنة، ابن تيمية، جامعة الأمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٣١. مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.

١٣٢. موسوعة الأعمال الكاملة، يوسف القرضاوي.

١٣٣. موسوعة التفسير بالمأثور، المشرف العلمي مساعد الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

١٣٤. الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ٢٠١٩م.

١٣٥. موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد ملوح، دار الوسيلة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٣٦. النبوات، ابن تيمية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٦م.

١٣٧. نظرات في أحسن القصص، محمد السيد الوكيل، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.

١٣٨. نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ٢٠١٩م.

١٣٩. الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأكيولوجي، سامي العامري، ٢٠٢١م.

١٤٠. وقفات في حياة الأنبياء، خالد عبد العليم، دار ابن كثير، ٢٠١٤م.

١٤١. ولله الأسماء الحسنى، عبد العزيز الجليل، ٢٠١٥م.

فهرس الموضوعات

الإهداء ٥

تقديم الأستاذ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي ٦

مزايا خاصة..... ١٠

كتاب (نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ):..... ١٣

تقديم الأستاذ الدكتور ياسين أقطاي..... ١٧

المبحث الأوّل

اسم أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ عنه، ومواضع ذكره في القرآن الكريم..... ٢٨

أوّلاً: اسمه ونسبه وموطنه، وحديث كتب التاريخ والتفسير: ٢٨

١- يرجع نسب أيّوب إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:..... ٢٨

٢- موطن أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:..... ٢٩

٣- روايات لا تصحّ في مرض أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ٣٠

٤- مُدّة البلاء:..... ٣٢

٥- ما نُسب إلى أيّوب من الشكوى: ٣٥

ثانيًا: سفر منسوب إلى أيّوب في العهد القديم: ٤١

١- رأي عباس العقّاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سفر أيّوب: ٤٢

٢- رأي الدكتور سامر العامري: ٤٢

٣- قال الدكتور محمد بيومي مهران: ٤٣

٤- رأي أحمد بهجت في تعليقه على سفر أيّوب:..... ٤٣

ثالثًا: ذكر أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن الكريم:..... ٤٤

١- أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة النساء:..... ٤٤

٢- أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في موكب الأنبياء والمرسلين في سورة الأنعام: ٤٧

المبحث الثاني

قصّة أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة الأنبياء **٥١**
أوّلاً: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ **٥٢**
أ- الفرق بين الضُّر بالضم والضَّر بالفتح: ٥٥
جـ- قال الإمام المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٥٨
د- ويقول العلامة أبو البركات النسفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٥٨
هـ- وقال الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٥٨
ثانيًا: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٦٢
أ- قال الإمام الزمخشريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ٦٧
ب- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٦٧
جـ- قال المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٦٨
د- قال الدكتور طه العلواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]: ٦٨
ثالثًا: سنّة الابتلاء التي تعرّض لها أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **٦٨**
رابعًا: أهميّة الدعاء في رفع البلاء والشدائد والمحن: **٧٣**
١- شروط الدعاء: ٧٥
٢- آداب الدعاء، منها: ٧٦
٣- أوقات الإجابة منها: ٧٨
إنّ من الدروس المهمّة: ٨١

المبحث الثالث

ذكر أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة ص **٨٢**
أوّلاً: قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ **٨٣**
أ- المصائب بين كسب الإنسان وإرادة الله: ٨٦
ب- أدب الأنبياء مع الله: ٨٧

جـ- لا سلطان للشيطان على أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ٨٨
د- تفسير الشيخ طاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ للآية الكريمة: ٨٩
هـ- وسائل الشيطان وأساليبه في التأثير على الإنسان: ٩١
ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ١٠٠
- الذهب الذي أفاضه الله على أيّوب وهو يغتسل: ١٠٧
- معنى الحديث وبعض دلالاته: ١٠٨
ثالثًا: قوله تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ ١١٦
جـ- تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ للآية: ١٢٠
٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [سورة ص: ٤٤]: **١٢٣**
جـ- من الأفضل؛ الغنيّ الشاكر أم الفقير الصابر؟ ١٣٧
د- أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نموذج للنفس المطمئنّة: ١٣٨
رابعًا: أهمّ صفات وخصائص أيّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ووفاته: **١٤٠**
١- تعريف الرسُل وصفاتهم: ١٤١
أ- تعريف الرسول اصطلاحًا: ١٤٢
ب- هل يُنبّأ الأنبياء قبل سنّ الأربعين؟ ١٤٢
جـ- الرسالة الإلهية اِصطفاء: ١٤٢
د- الرسول يوحى إليه: ١٤٣
هـ- طريق الوحي: ١٤٣
٢- الفرق بين النبي والرسول: ١٤٥
٣- من صفات أيّوب وبقية الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ: ١٤٥
أ- الصدق: ١٤٦
ب- الفطانة: ١٤٦
جـ- التبليغ: ١٤٦
د- العصمة: ١٤٧

هـ- مكارم الأخلاق: ١٤٧
هـ- الكمال في الخلقة الظاهرة والسلامة من الأمراض المنفّرة: ١٤٨
٤- الإيمان بالأنبياء والمرسلين: ١٤٨
٥- عدد الرسل: ١٥٠
٦- التفاضل بين الأنبياء والرسل: ١٥١
٧- أولو العزم من الرسل: ١٥٢
٨- حكمة إرسال الرسل عامّة: ١٥٣
أ- قطع المعاذير في الدنيا والآخرة: ١٥٤
ب- إزاحة الغفلة والإعداد للهداية: ١٥٤
جـ- رفع الاختلاف وردّ الناس إلى أصول يتّفقون عليها: ١٥٥
د- إقامة القسط بين الناس: ١٥٥
هـ- الأسوة الحسنة: ١٥٦
٩- وظائف الرسل: ١٥٦
١٠- أمور تفرّد بها الأنبياء: ١٥٧
أ- الوحي: ١٥٧
ب- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم: ١٥٨
جـ- الأنبياء لا يُورَثون: ١٥٨
د- تخيير الإنسان عند الموت: ١٥٩
هـ- لا تأكل الأرض أجسادهم: ١٥٩
و- العِصمة: ١٥٩
١١- وفاة أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٦٠
الخلاصة ١٦١
المصادر والمراجع ١٧٤
فهرس الموضوعات ١٨٣

السيرة الذاتية للمؤلف

د. عَلي محمَّد محمَّد الصَّلَّابي
مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م.

- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣م، وبالترتيب الأول.

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦م.

- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩م.

- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.

- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفًا.

كتب صدرت للمؤلف

١. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٣. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٤. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٥. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٦. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

٧. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

٨. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.

٩. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

١٠. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

١١. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

١٢. الوسطية في القرآن الكريم.

١٣. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

١٤. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

١٥. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

١٦. خلافة عبد الله بن الزبير.

١٧. عصر الدولة الزنكية.

١٨. عماد الدين زنكي.

١٩. نور الدين زنكي.

٢٠. دولة السلاجقة.

٢١. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

٢٢. الشيخ عبد القادر الجيلاني.

٢٣. الشيخ عمر المختار.

٢٤. عبد الملك بن مروان وبنوه.

٢٥. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

٢٦. حقيقة الخلاف بين الصحابة.

٢٧. وسطية القرآن في العقائد.

٢٨. السلطان عبد الحميد الثاني.

٢٩. دولة المرابطين.

٣٠. دولة الموحدين.

٣١. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

٣٢. الدولة الفاطمية.

٣٣. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

٣٤. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

٣٥. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

٣٦. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

٣٧. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

٣٨. المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

٣٩. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

٤٠. الشورى في الإسلام.

٤١. الإيمان بالله جَلَّ جَلَالُهُ.

٤٢. الإيمان باليوم الآخر.

٤٣. الإيمان بالقدر.

٤٤. الإيمان بالرسل والرسالات.

٤٥. الإيمان بالملائكة.

٤٦. الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.

٤٧. السلطان محمد الفاتح.

٤٨. المعجزة الخالدة.

٤٩. الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.

٥٠. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

٥١. التداول على السلطة التنفيذية.

٥٢. الشورى فريضة إسلامية.

٥٣. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

٥٤. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.

٥٥. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

٥٦. العدل في التصور الإسلامي.

٥٧. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

٥٨. الأمير عبد القادر الجزائري.

٥٩. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

٦٠. سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

٦١. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

٦٢. أعلام التصوف السُني: "ثمانية أجزاء".

٦٣. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.

٦٤. الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ - ١٩٢٢) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.

٦٥. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

٦٦. المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: الحقيقة الكاملة.

٦٧. قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

٦٨. نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

٦٩. إبراهيمُ خليل الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".

٧٠. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كليم الله.

٧١. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والخضر.

٧٢. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة طه.

٧٣. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة القصص.

٧٤. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة الشعراء.

٧٥. مؤمن آل فرعون في سورة غافر.

٧٦. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)

٧٧. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب - التداعيات).

٧٨. سقوط الدولة الأموية (الأسباب - التداعيات).

٧٩. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.

٨٠. النبي الوزير يوسف الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الابتلاء إلى التمكين.

٨١. ذكريات لا تنسى بين الثانوية والسجن ورحلة الحج (١٩٨٠-١٩٨٩م).

٨٢. الأنبياء الملوك داوود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وهيكل سليمان المزعوم.

٨٣. لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين.

٨٤. تجديد بناء المسجد الأقصى في عهد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقصة الهيكل المزعوم.

٨٥. نبي الله هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأسباب زوال حضارة قوم عاد.

٨٦. نبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأسباب هلاك قوم ثمود.

٨٧. الأبعاد الإنسانية والحضارية في شخصية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨٨. نبي الله أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

هذا الكتاب

إنّ هذا الكتاب: (نبيّ الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ طريق الشفاء، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾)، من ضمن سلسلة الأنبياء والمرسلين، وحلقة مهمّة في تاريخ علم من أعلام الإنسانيّة، وشخصيّة عظيمة أكرمها الله بالنبوّة والرسالة، وخلّدها في كتابه العزيز كقدوة وأسوة للعابدين ولأولي الألباب، وقد صدر من سلسلة الأنبياء والمرسلين:

- موسوعة (نشأة الحضارة الإنسانيّة الأولى وقادتها العِظام، آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- النبيّ الوزير يوسف الصدّيق عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ من الابتلاء إلى التمكين.
- الأنبياء الملوك داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وهيكل سليمان المزعوم.
- لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته لقومه الظالمين وعقاب الله لهم.
- هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوال حضارة عاد.
- نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأسباب هلاك قوم ثمود.

وهذه قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنّ قصّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ التي جاءت في القرآن الكريم مليئة بالدروس والعبر والفوائد والعظات والسنن والقوانين، وتُعطي الناس المنهج الصحيح في التعامل مع الابتلاءات.

وإنّ القصص القرآني له علاقة مباشرة بالذاكرة الإنسانيّة، وبأهمّ محطاتها الملهمة في تاريخها الطويل، والوقوف عليها تدبّراً وتأمّلاً وتفكّراً، ممّا يُعين المسلم على السير على الصراط المستقيم، والتواصل مع هذا الركب الميمون "روحيّاً" و"أخلاقيّاً" و"عقائديّاً"، كما أنّه فيه العلاج الشافي من أمراض الشهوات والشبهات، ومعرفة أسباب النجاة، وعوامل الانهيار والهلاك.

فهذا الكتاب يجمع ما قاله المفسّرون والمؤرّخون عن أيّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونستعين بالله عَزَّوَجَلَّ في التسديد والتوفيق، والوصول إلى الحقيقة، مُستفيداً من آراء العلماء في الماضي والحاضر، مع الوقوف بحزم وعزم ضد الروايات الموضوعة والخزعبلات والأكاذيب والأباطيل التي لا تليق بمقام النبوّة. واعتمدتُ الدراسة على العلم والإنصاف، والتحيّز لمعرفة الحقيقة ابتغاء مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، ورسم المحطّات المهمّة في قصّة هذا النبيّ الكريم.

dr.ali_alsallabi
dr.sallabi
alsallabicom
alsallabi
www.alsallabi.com
alsallabi1

ISBN: 978-625-6250-48-2
9 786256 250482
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة